**رواية**

عبادة الجسد

(سكرة العمر)

**نورة طاع الله**

رواية سردية

إهداء:

إهداء إلى الذي رغم الأحزان والآلام أراد وأصر أن يشاركه الكل فيها وبالعبرة والإفادة يسبق..

إلى فرحات الذي عيشني حدث أحداثه وتجاربه ومحنه وأنا عنها غبت لكن بقلمي مررت بأيامك وأوقاتك وهو بقلب عبادة الجسد خطوة خطوة..

أرجوا أن يكون قلمي يا سيدي قد أوصل الذي أردت قوله وأكثر..

نورة طاع الله

# الفصل الأول

ها أنا واقف بالشارع وسط محطة المسافرين أمد يدي لمنحي تكلفة الرجوع إليك يا مدينتي
لست بمتسول ..أنا بالمحتاج فعلا ...أنا بالمتوسل
بالمجنون...الفاقد للعقل كانوا ينظرون...هم لي يتأملون
بالخوف مني هم يهربون...يتجنبون الاقتراب والتحدث
ركبت سيارة الأجرة المتجهة إليك...
بمكاني ...بالسيارة عندي كان متسع الراحة والجلوس
لكي لا أتأخر لدخولك يا مدينتي أنا سعيت للوصول بسرعة.
عدت إلى تلحين ألام جراحي
كررت الزيارة للورق والقلم بعد طردي وطردهم.
أخرجت مملكة ذنوبي إلى كوخ محاسن وطهر أعمال.
رميت مصيري بالأرض التي بها بدأ حظي
بها بدأ كل شيء جميل ومفرح
ها قد توقفت عن العزف في بيانو أيامي وعبادتي.
ما الذي ينهي , يحرق ,يهدم كل جميل..؟..
رجعت ها أنا...هل لي مكان بينكم ؟
هل لي مأوى في نفس الطرقات والأحجار..؟
عند الأصل أريد أن أكون فأنا سئمت من الشبيه
لا أريد... إني أريد مقبرة بأرضي
رميتني يا زمن أين ما رغبت ورغبت
فبداياتي في نفس الأرض فيها أشتهي نهايتي
ما الذي أوصلني إلى عظم بلا لحم...؟ إلى صوت بلا لحن
إلى الملل والألم الذي في بحرهم تاهت أيامي
وسمكة الوحدة بلا طعام بلا أحبة وبدون ونيس ورحيم هي بي تتجول

لا أريد أحضان هذا الزمان وهذه الدنيا فسيجارتهم رمادها أشعل أحلامي.فكواني بلذة ومتعة وبلا شعور أو ألم...دون آه ...الأه التي تأخر وصولها ونطقها.

عبدت الرب , الحب, العمل ,الأهل, الأرض ... وبعبادتهم وإخلاصي لهم أهدوا لي بستان السعادة فعشت بهذا البستان ومن جميع عطوره ذقت وتعطرت وعنه لم أرد الرحيل ولا تبديله ببديل أخر.

فعبادتي للجسد...عند وبعد...أراني أدخلني إلى غير بستان.. إلى غير عالم وسعادة...إلى...أذاقني أطعمني ذوق...طعم...أعجبني بعد تسكيري بسكرة طويلة المدى.

هذه العبادة أنستني بعباداتي السابقة ,ولم تكن بعدها لاحقة

تأذيت يا ليتني تأذيت...تألمت ...شعرت قبل هذا الوقت

أين أذهب؟ أين مأواي؟

لا تتبرئي مني يا مدينتي.. فأنا يتيم.. يتيم الأهل والحب وكل معنى وشيء يبعدني عنهم وعنكي سوى يجرني الى تكرار طلب الحاجة للوحدة والفراق.والألم والحزن ومعهم الوجع الكثيف...فالألم الوجع الحزن أنا عبيدهم

دعيني يا مدينتي أتشرد في شوارعك ووسط ظلماتك فمع وحوشك راض بأن أكون من نفس فصيلتهم

عدت بلا أهل...بلا بيت...بلا سيارة...بلا عمل...بلا صحة...بلا وبلا

فلا تجعليني بلا أرض بلا جدران يا مدينتي

يا سطيف العالي بهضابك جئتك عاريا فاكسيني

أنا جائع فأطعميني....لست بأمان فاحميني

جئت وبأصابعي العشر أفتح يداي لتحتضنني ثانية.

نعم أعترف لست أنا فرحات الذي تعرفينه فرحات الذي خرج من قلبك ذا أخلاق..ذا أدب...ذا علم...ذا دين وإيمان...ذا سيرة تشرف وتحفز...ذا...

أنا فرحات فقدت الذي قيلا عني مع نفسي ومع غيري

استقبليني ,سامحيني ..عني لا تحكي يا أزقة سطيف ويا فوضى وحركية وشعبية طانجه

في ساحة عين فوارة اشنقيني, أعدميني فلن أعترض ولن أبالي, لكن لا تكشفي أسراري وأنا عن حدودك بعيد

دعي نفس النظرة الموجه لي موجودة ونفسها

عاقبيني يا سطيف كما يحلوا لك وبالعقاب الذي تريه مناسب لن أعترض والله صدقيني مقابلا امنحيني الأنفاس الأخيرة وأنا عندك, جثة وروح

أيها الهضاب العليا أعطفي عليا بالله عليك لا تقسي وتقلدي قسوة الجسد, فالجسد أهداني هدية لم أتوقعها ولا تهدى إلى عدو من قبل وأي هدية كانت؟...قنبلة تنفجر بداخلي ببطء

بهذا...لهذا يا سطيف أرغب بانفجاري عندك

فلا تخافي ...اطمئني لن أتأذى إلا أنا صدقا صدقيني

دخل الشيطان حياتي ..عالمي ..قلبي..أفكاري. بلا حيلة مني لحيلته وقعت في الشباك

رسمت أحلامي وآمالي في مجالس ومدارس السوء و...و...

ماض أريد أن يغرب عني بأقصى سرعة ودون إحساس وشعور مني وحولي لا أجده فهو يكون قد غادر

إني أتلذذ إلى أيام كنت....لا الحين...يا ليت أصاب بالزهايمر

دخلت يا بلد العمريات وسيد الخير... لاحظي لازلت عند الباب...لازلت أطلب العفو والسماح من القلب

أعلم مدينتي بعد تغيري وظهوري برجل أخر لم أعد أعتبر منكم

صدقيني والله ما نسيتك, وبالبعد البعيد ما ابتعدت بستين سبعين كيلو متر ابتعدت , فعند جارتك ...جيرانك طوال هذه السنين أقمت

أعلم أنك غاضبة مني , اعذريني , أنسي الذي مضى أحيي الذكريات فستجديني واحد منك

هنا أنا ولدت..تربيت..تعلمت..صحفي أصبحت وعائلتي تكونت بإقليمك وسمائك..من هوائك أرحت النفس وارتفعت المعنويات ورزقت بآدم وعلي وعندك الأفراح أقمت

سطيف حبيبتي لم أكن بتاريخك كأي رجل والسلام

أنا فرحات بالمقالات اشتهرت وبعاشق مجنون الوفاق السطايفي لقبت

انتظري..لاحظي..توقفي يا ملهمتي وعند الكرة دعينا نسترجع اهتمامي وعشقي

كنت أنا روميو والكرة جولييت حبي هذا...هواي الذي كان متمركز استولى عليه وفاق سطيف. ess

الله على الأيام التي أخذها الوفاق مني وعلى زغاريد العمرية بنت العمريات وعامر لأحرار وعلى ليالي الفرح بالكأس

كيف أنسى...بالله عليك يا زمن كيف أهجر بيني وبين النهاية ومغادرة العالم خيط رفيع

يا سماء سطيف لا تحرميني نورك وإشراقك أمهليني...امنحي لي فرصة...لا لا ...دعيني أموت وأنا أتنفس عبيرك.

أرمي جثتي بأيها مكان ...لا يهمني ..يهمني أن أكون على أرضك

أذنبت بحق نفسي وبحقك..نعم أعترف

ألحقت العار بي وبك..نعم حصل

مثلت الرجل السطايفي بأسوأ حال وصورة...نعم لم ادرس هذا

أسف ..فالجسد والزمن ,الشيطان والمحرمات, كانوا أقوى مني

عدت لغسل الذنوب بمائك ....من شلالك يا عين فوارة

طهرني يا مطر..يا مياه..فالجسد منذ أكثر من عشر سنابل لم يغتسل

نقي بصري سمعي ..لمسي...كل الحواس والأعضاء بدم أبطال وشهداء مجازر 8 مايو 1945.

نقني بنفس الأصول ..العادات والتقاليد, الأخلاق والأعراف, القوانين والأنظمة السطايفية ,التي منها تعلمت وكبرت, رسمت الأمل فتحديت ونجحت

انني غبي رافقت الذي ليس مني فراح الذي مني
لم أمزق أوراق مشواري معك يا مدينتي
احترق المضمون ..تلاشى ..مات...بدخولي معا نرجعه
بقي فكر, ذهن ,ذاكرة قلب روح...يتذكرك
رجعت ليس كما رحلت , لكنني رجعت
هل ممكن أن أجد مأوى رحيم غيرك ؟ ...مستحيل

عدت ولن أرحل وان رحلت يعني لست لا عندك ولا عند غيرك.

قررت...فليس عندي عندك يا سطيف إلا الأرض
السماء الجو والهواء...تضاريسك بها أدخليني وأبقيني
شجرة بإحدى الغابات أكون
مستأجر عندك...فما بقي إلا القليل من القليل التابع للقليل
الحب بيننا عندي بقي وموجود لم يمت...فماذا عنك يا مدينتي؟

محبوبتي أنتي ...ظننت ..اعتقدت ..حسبت أن الرجوع سهل

بصعوبة ...خجل فرحات منك وبعد الإذن لن يدخل
سيبقى ابنك عند مقدمة الباب يروي..يحكي ما عنده

والصدق لسانه عند نطق الحرف ونصف الحرف, قبل النطق ...عند التهيؤ

الاتفاق بيننا ...كان نعم....نسيت تخليت عنه "الاتفاق".

لوميني يا مدينتي ...عاتبيني ..عاقبيني, فأنا أحرقت نفسي ومن معي.

أود نسيان الذي عشته ...بأفعالي فعلته و...فعبادتي للجسد أثرها هنا بقي بالأحشاء..بداخلي جرثومة أفعالي وذنوبي وأخطائي...بهم تذكرني

تناديني كل لحظة ..وتعلمني ..تخبرني بأنه لا وقت للإصلاح. ولا أمل للنسيان ...لا أمل في العيش وأخذ النصيب الجيد

جئت لأرمى بأحضانك وتكوني لي يا مدينتي أخر شيء جميل أموت عليه وفيه.

سطيف..هل لنا أن نرجع ونفتح كتاب مذكرات ماضينا؟ نبدأ بأي صفحة لا يهم..البداية الوسط ..النهاية. المهم أعيد لذة زمني الجميل

علا وعسا تتلون أيامي ويصبح طعمها فراولة ذوقا لونا وشكلا

ها أنا...بصفحات بطن الكتاب أصبعي وضعت أغمضت عيني ,وسأدع الاختيار للذاكرة وأين تضعني معا سنعيش الذكرى

الربيع ...في موسم وفصل الربيع إلى منطقة عين عباسة أذهب.

تذهب الزهرة والطاوس وزهيرة و...وفي الكيس الكبير المصنوع من الحلفاية بقلبها ...بأحشائها البرتقال الرفيس وكسرة الربيع ...والشمس المرفقة بقليل من السحاب والهواء الذي يضرب الخد كفا وراء كف بهدوء ولطف كنا نجتمع.. بالأكل نتبادل وبالضحك والتسلية بقول الألغاز و...

...نعم وعين دروج التي بعت من اجلها كل منابع المياه, وعن الشرب بأي ماء امتنعت وبمائها خلدت

قارورات ذات الحجم الكبير أملئهم والى البيت أخذهم ومعي الصديق مصطفى عبد السلام محمود بالقوة والعضلات

نحملهم...وعند الوصول نتشاجر لاختلاط القارورات وفي الأخير الذي يقاوم أكثر يأخذهم.

أيام الراحة.. يوم الخميس والجمعة إلى حديقة التسلية"بارك" أوجه قدماي ...وفي معاكسة ومغازلة السطايفيات كنت مدرس.فأرمي كلمة مدح مرة لسعاد ومرة لسامية, وهم بالابتسامة الرقيقة والإحساس بالثقة كان ردهم عند كل كلمة.

يااااه كم لعبت وتسليت,جهدت وتعبت, وقعت وتعلمت,بكيت وضحكت...

بصدرك يا سطيف جربت ومررت...زرت أذواق جميع أطباق الحياة وملذات الدنيا.كم ضربتني بالعصا واليد والرجل وبالحنان بعدهم تراضيني..راضيتني..

تدللت عليك ...ولم تبخلي علي فدللتني

أنت المدفأة يا سطيف بعد الأم والأهل

أنت الخريف الذي برياحه وأحواله سقطت أنانيتي غروري ..ذنوبي..أخطائي..أهم قواعدها ومبادئها وأفكارها تغيرت ومحت

... في شتائك بماعية أمطارك وثلوجك بهم أغتسل وذاب الذي كان عندي لا يرضيك.

البرد الشديد لم...هو أحيا أيقظ الشعور الحقيقي عندي

اشتقت للثلوج المتهاطلة المكسوة ببياض قلوب عبادك الثلوج التي لن ترحل ولا تطل إلا بالزيارات المطولة نصف شهر اكتمال النصف الثاني أقل لا ترضى ولن تغادر

لازالت الصور....هي هنا بحوزتي ....بهذه الحقيبة تشهد على استمتاعي وعلى روحي الطائرة الحائمة لكونك الذي كله بياض

ربيعك يا سطيف يا حبيبتي لباس جديد يكسوا باطني قبل ظاهري

هذا موسمي الذي من الذي حوله وفيه أنموا ..أتطور..أتحسن.

ما أحلى صيفك يا مدينتي رغم وديان العرق...أحبه إيه والله .

بالصبر ومستوياته العليا الأسمى والاشتياق وانتظاره من رحيله وعلى قدومه القادم الجديد بلهفة أتوق إليك يا صيف سطيف...وبانتظارك أنا جد سعيد

مع كل ولادة صيف جديد تكثر أعراس أفراح أولاد سطيف , مركب عرس وراءه مركب عشرة وحتى أكثر ذهابا إيابا نفس المشهد مكرر في نفس زمن وتوقيت حركة ذهابا.

أقول بدون مبالغة دون تعظيم حبي لك يا سطيف وصل حد العبادة

لا أنكر كان حبا وفقط.

الحب بحجمه الكبير بحوزتي كان مجزأ حسب الأولويات والمراتب اشترك معك الأهل,الأولاد ,العمل, القلم,... وأكثرهم عند غيرك كان الجسد.

بعد رحيلهم وفقداني لهم اجتمع الحب بعد خروجه وتفكك أكفانه من الأجزاء وعند حلبتك توقف وسكنت دون منازع ولا مصارع.

عدت والجناح مجروح...مكسور على سرير بشر طبيب وبناء هو مستشفى لم أبقى ...هربت, لم أسترخي... إسعافا امتنعت, فأنتي يا سطيف دواء شفائي وآلامي ...أنت سماعة سماع انخفاض دقات قلبي بسبب خبيث هو بداخلي بأعضائي هو يتهجم ومعهم دوما...باستمرار يتشاجر وبشجارهم هذا ...آه الألم لا يغادر

بكيت عن حالي ومآلي وبكائي عنك ...عليك فاق الوصف فاق كل شيء كبير ضخم ومؤلم.

أخطئت..عوقبت ,جئتك...مهلا أرجوك افتحي ابعدي الستار عني وعنك. اسمعيني... ركزي...تعاطفي مع حالتي بكرمك وجودك الذي لا ينتهي

انني صاحبت الصمت ظنا مني بأن الصمت مخلصي ونجاتي للصمت كنت حكيما ولازلت معه رفيق...حكيما حكمتي جوهرها ستر الأسرار ومعاقبة الأخطاء

لا أطلب الكثير فرغبتي الحالية سرد ما كان وما مر ما حصل و معا نقرر.. نأمل ما سيكون

اسمعيني فالكلام... ألاف الحروف مهيأة للخروج تنتظر سوى الأذن الصاغية.

لا أستطيع صدقيني ...الكبت بفراش المرض ألصقني بالمسامير بالاسمنت ...بالطين ثبت الوجع عندي

...لن أبوح للبشر و...فلسمائك , نباتك , أرضك حتى حيوانك أقول. فغير الإنسان يرحمني وباللسان لن يفضحني بالخبر

نعم انفضحت بغير إقليمك, فالعار أنهاني واليك حاجة دفعني...أعادني

لساني ربط بألف عقدة والعقد مفاتيحها وجدت عندك

سأفتح صندوق المفاتيح وأفتح عقدة وراء أخرى وأنت معي كوني...

أرى.. متأكد.. مؤمن بانفتاحهم ...من سجن الباطن سيفرج عن الكبت والكتل المركونة بكل عضو وجزء بكياني الإنساني.. النفسي.. الباطني.. والجسماني.

سئمت...من الصمت القاتل مللت, مللت ...كرهت الثوب الذي أرتديه كل وقت...الثوب الذي يعكس ويكشف ...يروي عكس الذي أنا فيه. يروي حقيقة هي خيال وخداع , حقيقة قناعها دفن كتابي الذي أوراقه سطورها الكاذبة بالخط العريض مكتوبة ..بالخط الشفاف...ما فيه أعلمه إلا أنا ومن تركتهم ورائي.

قلبي يا سطيف لم يتحمل ولم يشأ دخول أحضانك وهو مملوء بسيناريوهات ألفتها أنا ليس عني, وإنما عن الملاك السعيد الطاهر.....دونتها وبمهارة أمثلها وألعب نصوصها وأدوارها بحنكة وذكاء

لا شيء يدم.. أمري انكشف خارجك.

...غير ممكن فالصدق فقط معك لم أتمكن بعفوية أن أنهيه معك ..أن أخفيه وأن أغيره.

سوف أقول الذي عندي أولا لإراحة نفسي, وللتخفيف من ندمي وضغط الضمير.ولإزالة جزء من الذنوب... القليل

ثانيا لدخولك يا سطيف دون خبث...لن أكون خبيث ومخادع بينكم.

...فمن أجل أن أثبت وأرد على غيري أن فرحات رجل لتهذيب نفسه وتربيتها من جديد تذكر والى الهضاب عاد.

...من تاريخك وكتابك أيتها الهضاب العليا , بمدرسة أخلاقك وأدبك سوف أكون بصفوف التعليم الأولى

عجزت يا مدينتي عن الإصلاح وإرجاع الذي راح مني...الذي ضاع.

الخوف جلبني عندك وعند بابك أوقفني.الخوف من عودة عبادتي الجسدية وأنا بأرضك رغم أني تبت وأخذت درس لكن لازلت أخاف

من شجرة السوء التي كل ثمارها ابتسامات محقنه بالمؤقت والكاذب ....أخاف.....وأخاف.

أبله كنت ...غبي أنا إيه والله ...أحمق عن نفسي أقول وأكرر.

أهملت نفسي لأن مسؤولياتي الكل طبقتها على نفسي وفقط....حاجيات حقوق نسيت الذين عندهم حق عندي.

لو كنت صغير , ولد , صبي ...شاب لما كان ذنبي كبير وما صعب عليا إيجاد حل وثغرة للخروج من الذي أعيشه

"فلا لوم عن أخطاء أولاد ,منبع ذلك التصرف الإهمال".

أهملت نفسي بأفكار وأفعال وتصرفات وأنانية أخذت مني كل جميل ودائم.أهملت غيري ..أقرب الناس ..أعزهم أحبابي إلى مصير بشع أوصلتهم أدخلتهم.

لم أحسب أن الدنيا خمسة أشياء ...أقوال

"فرح, حزن , مال, حب , ذكر, ولم أسأل الله الأولى ولم أدعي أن يبعد الثانية ويحفظ الثالثة وتدوم الرابعة وتكون الخامسة".

الدنيا كلها وضعتها بكف عبادة الجسد ...لمتعة الجسد.ورغباته ,أهدافه ومصالحه..لما يشتهي ويحب.

ركزت على كل حاجياتي ومتطلباتي في شهوة ساحرة...نعم ساحرة من سحر ذات الدرجة الأولى تم سحري.فغيرني وأغمضت عيناي ..وبالشيطان ألصقني ذلك السحر الفتاك بتلك الشهوة ..جعلني شيطان بشر...إنسان بأفعاله ونواياه و...ما هو بإنسان.

شهوة أبعدتني عن ديني , عن عبادتي لله وبعبادتها أخلصت وانشغلت.

بعالم الشهوة كذا عام عشت , وعن العالم المفيد النافع ابتعدت.

لم أطبق "ما نفع الكلام في عصر مأوى الكلام العقل ولسانها اليد".

أنا أموت من الحسرة والندم وعلى الذي ضاع مني وبدر مني.

يا خسارة لم أنتبه لما أنا فيه إلا بعد غياب النور عن سمائي والراحة بداخلي والطمأنينة والسكينة بروحي وقلبي.

كنت عندك يا سطيف خيرة البشر وأنت تشهدي.

تمسكت بغرائزي ورغباتي الشهوانية ,وبعقلانية وظفتهم.

ابتعدت عن تذليل نفسي, وفي أيد الشهوة الحيوانية لا الإنسانية انتبهت, وبمصيدتها لم أقع ولم أسقط ولم...

لا لأن ليس هناك شهوة ولا لأنها بمقياس ضئيل, وإنما الأصل منعني...تقدير واحترام ومعرفة الناس لي .

لم أتجرأ التنقل من فاحشة إلى أخرى ,فافتخار الأهل ومدينتي بي أنساني وبنجاحات وانجازات مزدادة انشغلت, وتفكيري بهم تمركز ومعهم عشت.

انشغلت...وزرت وعشت مع الذي يفيدني وعن عبادة الجسد ابتعدت.

عبادة الرحمان من صلاة وزكاة وصيام وذكر, ولدت عندي قدرة كبير في التحكم في رغباتي وضبطها وعند باب الواجب والحق أطلقها.

هذه العبادة خلقت وأوجدت بكياني إيمان كبير وكبير جدا , ومن هذا الإيمان عن الذي يضعف إيماني ويقتله معي وقفت وواجهنا

الإيمان الحقيقي الذي كنت أمتلكه عن موطن السيئات والفواحش والكبائر لم يجعلني مواطنه ومن هذا الموطن وبه ..لم أكن بأرضه يوما.

وأنا بين جدرانك وبوسط رقعتك يا سطيف رحل عني كل هذا بلمح البصر وعندما غبت عنك يا مدينتي أشياء كثيرة حدثت ووقعت فيها.

بعد خروجي من أحشائك وبطنك بدأ ما اكتسبت وأنا بداخلك...بدأ يرحل دون أن يخبرني ويحسسني بذلك

ولما التفت يمين وشمال , بالأفق بالأسفل لم أجد سوى أنا واقف "فما أصعب أن تقف وقفة الجاهل التائه الوحيد بين السماء والأرض".

لم أجد أمامي كيان بشري ... ولا حتى جامد ..سائل لألومه. بحثت ,جربت, تهت وفي الأخير ناديت اللوم وأنا أقول.

"يا لوم لم النفس قبل لوم الناس".

كنت عندك يا مدينتي ملك بأخلاقي وأدبي وعلمي وعقلي وطيبتي ...وحسن أعمال.

...تركي لترابك وسورك صرت عبدا وأي عبدا عبد للسيد وإمبراطور هي نفسي وجسدي.

مدينتي.. بتواجدي فيك أجنيت ثمار نقية خلقت من روحي وروحك العذبة والصفية.

...وجودي عند غيرك غيرني, انتسبت لعشيرتهم بفعل الإغواء...وجودي بينهم غير عرفا لي وعادات.

لم أمشي تبعا لأصولك المتروكة,وعدم مروري بها لم يبشرني بأيام مبروكة.

أخي العمري إرشاده لي يغمرني فرحة عيد, ويجعلني على الدوام سعيد , للخير سديد وللشدة علمني أن أكون مديد وفي الكفاح مستعد, ومن نصيحته للنصيحة أنا مجاهد وحتى شهيد.

عدت يا رحيمتي ليس كما ذهبت

عاد فرحات ليكمل معك ما تبقى من الساعات

خجلان جدا أنا منك ...مريض بمرض نتيجة عبادتي للجسد.

اعتبرت حسبت أن ثوب عبادتي في نقاء كنقاء قلب المؤمن , وتجاهلت بأن مادامت هذه العبادة فيها المصلحة ففيها المنفعة لي وفقط والضر لي ولغيري.

جعلت مصدر حاجتي عبادة لم تفرض لا في أي دين ولا أرض...ولا بأي زمان ووقت وعصر..

لم أسارع لملأ قاموس الذهن بنظام وعبادة أمرها ووضعها الخالق.

اقتديت بعبادة الجسد في حياتي وهذا قضي على روحي ...تمثالي الذي أخذ مني خمسة وثلاثين سنة, وفي الأخير لقبت بفيلسوف وعبيد وخادم الجسد ومتطلباته.

وجدت بعبادتي صفة الظلم وفعل الجرم وبهم وبفعلهم انقلبن عليا.

لم أرفض هذه العبادة ...كنت مطيع وانقلبت علي في نهاية المطاف...في حاجتي إليها لتنقذني لم أجدها.

تركتني غارق في مشاكل هي أنجبتهم...أتخبط تخبطت ولم ترحمني.

انقلبت موازين ونتائج العبادة لا على غيري وفقط...وعليا أنا بكثرة وبقوة ...دون رحمة مع نسيان ما ورد مني.

عن الإخلاص والوفاء جسدي لم يتذكر سنوات عبادتي له. وبما ضحيت مقابل هذه العبادة .

وبعد....انني كنت سمكة اصطادت بفعل صنارة هي مؤامرة شيطانية مسيرها الشيطان وللأسف كنت أنا من بين خادميه ..بفعل الخيال الذي أدخلني فيه فوقعت أنا في شباكه.

لم أنظر لعبادتي من بابها الواسع , والى ضيق بوابتها غير ذكي كنت ففوجئت بما جلبه لي الضيق.

يا مدينتي...يا ولايتي...يا سطيف أنا كلي قنبلة تكونت من جروحي ومكبوتات , وحتى من فرحتي وحياة المتعة التي كنت أعيشها.

بالدموع لم أتمكن من تفجير قنبلتي

" لا تتعالج ألام الناس بالكبت , وإنما بإطلاق سراحها من سجن الباطن النفسي".

ها قد جئتك وسأرفق بالدمع تسرب الكلام الذي سيتزامن نطقه بتهاطل قطرات دموع.فلا يهم قد يكون قبل وقد يكون بعد وقد يكون الكلام والبكاء معا. فعلا لا أدري ما ستبادر به حالتي , وأيهما سيفجرني.

تغافلت بأن " الحمد حمدا عند شدة والكفر كفرا قبل الشدة".

بداخلي شجار عظيم أحيانا يتوقف ويطول توقفه , وأصير بعدها أقنع نفسي بأن

" توقف الشجار للحظات ما هو إلا تقديم فاصل استراحة للنفس , أو مغادرة أبدية أزلية".

لكن الذي يثير الفضول والتساؤل عندي يستيقظ هو أن شجاري بعيد عن اللحظات.

هذا الشجار الذي يدفعني إلى البوح سريعا , وإخراج هذا الشجار إلى الخارج ... إلى العالم الذي فيه الملموس.

كل عضو بجسدي يتشاجر مع العضو الجار له , وحتى يتنقل إلى جار أخر .

الهدوء عندي لا يطمئن ولا يريح... وكأني بالغصب أتفق مع هذا الهدوء الذي كله صمت في الحركة واللسان.وأحاول إقناع حالتي التي تكثر عليا علامات الاستفهام ب ....." اللجوء للهدوء المتبوع بالصمت , ما هو إلا رغبة الإنسان في محاورة باطنه".

لا يتم مدحي الآن ..مثل وقبل وقت مضى ...

" إن مدح المرء مصدره زينة الأفعال".

فبما أن أفعالي فاقدة لأهم العناصر التي تجلب لي المدح , فالمدح عن أعمالي مستعر وغاضب وغير راض.

ابتعد المدح وبمكانه أحضر العار الذي رد على أفعالي على أعمالي بجزاء وعقاب عظيم ثقيل

أحيانا... لا دائما أقول

" لا تحزن يا فرحات عن أقوال قيلت من غيرك عنك".

أتهرب من أقوال الناس التي تلاحقني كل وقت , وبهذا الخطاب الذي لم يوجهه لي أحد وإنما وجهته النفس لنفسها.

كيف لا أحزن ولا أهتم... كيف لا أبالي . ما قيلا ويقال ليس بالكذب , فالناس رأت وقالت.... نعم طبعا مع الزيادة دائما , لكن هذه الزيادة لم تأتي من العدم , جاءت وكانت وتفرعت من الجوهر الرئيسي واللب.

هل تعلمي يا مدينتي؟ أن الذي أقواني وشجعني عن الوقوف أمامك واليك أعود هو أن :...

" لا أقل فات الأوان مادامت الروح مقيمة وساكنة وموجودة بالجسد".

فيا ليت أكون رجعت ... عدت قبل فوات الأوان

ويا ليت بكل أكبر وأضخم المقاييس أتمنى ذلك.

سطيف أنت جوهرة بحياتي غالية الثمن بكنوز الدنيا وبتوسلات أغنى رجال العالم لن أبيعها.

فبهذه الجوهرة قلبي لا يزال ينبض أمل وبغد أفضل و... رغم فقد أيامي للسعادة والفرحة والراحة و...وبعد موتي يا مدينتي أعلمك , بأنني سأضع الجوهرة كتمثال وحجر به يتنور قبري.

هل للقلب أن ينبض والروح هاجرت الجسد.

لا أبدا... فيا مدينتي أنت الروح الذي به قلبي سينبض وينبض بحبي لك وسكني ووجودي عندك.

حبي لك يا ولايتي..يا سطيف نبتة تنتج مليون ثمرة في الساعة.

تزرع وجودك بكل نقطة بعالمي , فأنت كل تفاصيل حياتي.

أعتزل عن كل شيء , النور , الراحة , السعادة و...الأهل , الأحبة, الأولاد , المال , العمل...

عن حبك يا سطيف لن أعتزل , فلا تعتزلي عني.

أنا لم أتوقف منذ كذا سنوات عن عبادة الجسد لا لحظة , ولا ثانية, ولا دقيقة , ولا ساعة , ولا يوم , ولا أسبوع , ولا شهر ولا سنة ولا سنين...

بالنتيجة إليك يا ولايتي عدت فصرت أنت عبادتي... وأنت التي من أجلها الروح متمسكة بالحياة.

فعبادتي للرب المتأخرة لم تجلب لي النجاة والمغفرة, بعد أن جاءت عبادتي بعد غفلة طول سنين , وبعد أن أدركت أنه بقي لي سوى القليل وعبادة الجسد الرجوع إليها صعب بعد تهدم وانهيار الجسد ووصوله إلى النهاية.

لا توبة عند الموت, فامنحيني أنتي سطيف العفو والمغفرة.
لا أريد أن تميتني الحسرة والندم والذنب , الضمير والألم و...أود الموت وأحد هؤلاء ليس هو السبب.
أريد التخلص... خلصيني من الندم لا من الألم , لا نزغ الضمير لا...كبر الذنب لا ...أمحي أحدهم, جزء ولو... موافق ...راض .
" ما من قلب ذاق المر فوق المر , وما يمر من الزمن إلا ويصير القلب حر".
هذه الكلمات جرتني زاحفا إليك وبعجلة السير المعطلة البعيدة بعد معاناة أوصلتني.
سوف أفتح كتابي وأنتي أقرئيه يا مدينتي... أقرئه أنا أحسن وأفضل.
كتابي لم تطوى صفحته الأخيرة بعد.
بقي مفتوح ينتظر الختام الجميل معك يا سطيف.
نعم... الإنسان يمر على مراحل عديدة وعلى مصائب شدة وعلى العمر مرة, وأخيرا وضع للروح حد وللموت موقف أكيد.
فأنت يا الهضاب العليا الموت الذي له موقف, فالروح وضع لها حد بحملها للعقاب الذي ولد من عبادة الجسد.
للأسف...فرحات جعل حزنه على ذنوب نفسه كحزن الروح المفارقة لمأواها وبالأكثر بكثير.
ومع هذا لم تذهب كل أحزاني ولم ترحل... قررت البقاء عندي ... البقاء بنفس ضعيفة بالمرض وما فعل بها الزمن وما فعلته النفس بنفسها وبصاحبها.
قدمت إليك فأنت التي بقيت لي في هذه الحياة يا سطيف.
جئت وأنا أحمل بكفي ...بيدي كتاب حياتي ويومياتي التي مرت وعشتها وأنا عن بقاعك غائب ومسافر.
بالكون الباطني براكين تود الانفجار بالخروج إلى سطح الظاهر.

مرضي بلا دواء ولا شفاء...أعيش الموت أنا...أرى الموت ...أحس به ها أنا " كانقطاع الرضيع عن حليب أمه وكفراق الشاب لشبابه , وكعيش الماضي بلا رجعة.

هكذا أنا والموت سويا نقضي الأوقات ونتبادل الأحاديث.

عشت معيشتان , معيشة ظاهرية مرت وغادرت , ومعيشة باطنية جد صعبة , الظاهرة كانت الدنيا والباطنية نهايتي ... ورفيقي الموت الفاصل بين هذه وتلك.

تعلمي...هل تدري يا مدينتي؟

" ما أبشع وأحزن أن تسير طريق تجهل وجهته, فمرورك بها يرجعك لنقطة البداية, وكأنك لم تمر بها بتاتا, وما أنجح أن تسير أدراج المعلوم, فتخطيك عليها تكسبك مرادك المرغوب , أما أنا ابن أدم لم أسر نحو الوجهة المعلومة فلم أرى أمامي البرمجة المنظومة".

نقطة نهايتي لا تشبه بدايتي...رغم أني فقدت أشياء لم تكن معي ببداياتي , مع هذا نهايتي تعدت بدايتي .

الفرق بين البداية الحقيقية والبداية التي منتجها النهاية.البداية الحقيقية كتاب أبيض أكتب الذي أود عليه وما يريده المجتمع والزمن.

والبداية التي أنتجتها النهاية هو أن الكتاب امتلأ ولكن رغم امتلائه رجعت إلى البداية بعد فقداني لأشياء لم تكن ببداياتي .

وصلت إلى طريق مليء بثعابين دخلت أحشائي وبسمهم بالبطء أنا بدأت ..أنا أفقد الوعي وأموت.

ملئت ميزان أعمالي بالذنوب والمعاصي والفواحش والمنكرات والكبائر.

ميزاني لا يشبه أي ميزان... ميزاني جسد بيد واحدة.

كف ميزان صار بحر بميزان.

لوثت الكونين الدنيا والآخرة , بعبادتي السخيفة والغبية والحمقاء للجسد.

هدوء فرحات محاسنه معاقبة الأخطاء ومساوئه المرض بغياب الدواء.

لم يفدني حسن هذا الهدوء الذي كله غضب على نفسي واحتكار لها....فعلا المرض هو الآن بداخلي فرغم كثرة جرعات الدواء فالجسد للشفاء لا يستجيب.

جسدي بالذنوب أغرق في بحر الشهوة واللذة.

هذا أنا يا سطيف أفتح كتابي أفتحه وبألم أضع علامة قف بالصفحة الأولى...رقم واحد الذي كان علامة حظ لي.هكذا اعتبرته وكنت أعتبره ولازلت أقرئه على أنه ورقة حظ.

بالفعل...هي ورقة النصيب الجيد الذي لم أحسن رسم أرضه بدقة وذكاء وحكمة.

ها قد رجل فرحات ليس كما ذهب.

رجل بجسد وثوب ليس بنفس ..بمثل ما تعرفينه.

ها قد عاد وهو يقول

قبل التطرق وزيارة أول كلمة بأول سطر من هذا الكتاب, امنحيني يا سطيف الوعد

الوعد بأن " السر يبقى سر وان خبأ بخزانة أبوابها مفتوحة".

## " الفصل الثاني"

تاريخ رحيلي وتغيير الإقامة لمدينة غيرك يا سطيف.

بينما وأنا ذاهب ككل صباح , قبل توقيت الثامنة صباحا بالضبط كنت قد وصلت إلى مقر عملي بجريدة الفصول الأربعة.

في مكتبي وعلى الكرسي المتحرك ذات الجلد الأسود, جلست بعد أن ألقيت السلام بمروري من مكتب إلى مكتب , وبالابتسامة قلت لكل الزملاء والزميلات "صباح الخير".

بدأت بإخراج أوراق الموضوع الذي تناولته وحررته بالبيت ليتم طبعه وتجهيزه للنشر...سحبتهم من حقيبتي رفيقة فرحات اثنا عشر شهر على التوالي.

على طاولة عملي وأنا أرتب للعدد القادم, رن هاتفي أقصد هاتف المكتب.فمددت يدي ناحيته...رفعت السماعة , إذ بالمدير يؤمرني بأن ألتحق به بمكتبه في الحين, بسبب وجود حديث مهم لا بد من الكلام فيه في الحال.توجهت ..طرقت الباب وأنا جد مرتاح وفي عجلة من أمري لعرض موضوع ومقال التسول الذي حررته عليه لتوقيعه, وإرساله إلى المطبعة بأقصى سرعة.

دخلت...بالجلوس طلب مني...جلست.

له قلت:

صباح الخير سيدي...أمسك هذا هو المقال الذي وعدتك به, ها قد انتهيت منه.

مسك المدير من يدي المقال وقال:

سوف أوقع عليه بعد أن توقع أنت قبلي على هذه الورقة.

حملت الورقة, بدأت بتصويب البصر لقراءتها شفت محتواها...اندهشت...زارتني غمامة لا أستطيع وصفها أغمرت قلبي وفي الضيق حبسته ويدي عن صدري لم أرد سحبها كأنها التصقت, وأنا أحببت ذلك الإحساس السيئ.

قلت:

هذا قرار نقلي إلى فرع الجريدة المتواجد بمدينة برج بوعريريج.

خاف المدير على حالي , وصار يحاول التخفيف عني بكلام يقنع, وبأكثر بساطة كان يحثني بأن أخذ أمر النقل .

لي قال:

سوف تقيم وتعمل بولاية برج بوعريريج لفترة بعدها يتم تعيينك بصفة نهائية في الجريدة بالجزائر العاصمة كرئيس تحرير فأنت أثبت جدارتك في هذه الجريدة وبمهنة الصحافة

المكتوبة, فقرار نقلك أساسه هو رفع رتبتك , فسوف تكون نائب مدير الجريدة ببرج بوعريريج.

رغم ما سمعته يفرح أي أحد بمكاني ..لكني أنا لا...وبدون ...وبغياب ملامح الفرح قلت:

أنا لا أريد الرحيل من هنا...لا ترك الجريدة ولا ترك سطيف.أهلي ,أسرتي, أولادي , الأصدقاء, الجيران...الكل هنا

عني ضحك المدير , تارة بصوت مرتفع وتارة أخرى بصوت منخفض

وقال:

لك أن ترافق وتصاحب أي شخص بأي مكان.

ما بك يا فرحات أنا أعرف بأنك اجتماعي ومن الدرجات الأولى, أما بخصوص عائلتك فسوف ينتقلون معك.فلاحظ كم الأمور سهلة...السكن موجود ضمن العمل.

كان أمامي أمر واحد وهو أن لا أكثر الحديث مع المدير , لأن أي كلام كان يصدر مني كان يجد له رد منطقي.

رأيت نفسي....أحسست أنني سخيف وبأني أعطيت الأمر أكثر من حجمه.

الدموع بدأت تغرق سحر عيناي لولا شراسة المدير في الرد لكنت رميت في أحضانه وبكيت على كثر حبي وعدم رغبتي للرحيل وترك الغالية سطيف أنتي.

كنت سأحكي له عن صعوبة العيش التي أتخيلها وأتصورها بأرض غير أرض الهضاب العليا.

بشرب المدير لفنجان القهوة كان يقفل عليا أبواب عرض أسباب وصعوبة الرضوخ لقرار النقل والتوقيع بحرارة عليه.

بيدي اليسرى ...بين إصبعين وضعت القلم , وباليد اليمنى على أصراف أصابعي ضغطت على الورقة.

لا مجال للتفكير ...لا للرفض والقبول...القرار لا بد أن يطبق لأنه من سلطة عليا صدر, وكان عليا أنا فرحات إلا المثول له.

بأخر الورقة على الحافة كتبت اسمي الذي فوقه خط مستقيم وتحته بالانحناء يزخرف الاسم.

بهذا....هكذا ...من تلك اللحظة ...بجريدة ...بالفرع المتواجد بسطيف لم أعد موجود وواحد منهم.

لوازمي الساكنة بغرفة نجاحي وتميزي في المقالات الاجتماعية بالأخص عن السياسية والثقافية, وبالجانب الإرشادي....جدران الغرفة نقشت اتجاهي بالرسوم والألوان.

سحبت من الأدراج .. من خزانة المكتب كل شيء يتعلق بالصحفي ...المحرر السطايفي فرحات سلامات شخصيا وعمليا.والموجة الباطنية التي بداخلي تصرخ وتقول:

"كيف للإنسان أن يعيش بلا تواصل, فوسيلة تواصل البشر الحب ".

الحب الذي بكل جوانبه وجميعها عرفته...مررت به...عشته وأنا فوق هذه الأرض.

الحب القوي هو الذي كان بيني وبين مدينتي...الحب يجمعنا رغم صعوبات الحياة ومتاعبها, أحزانها وانشغالاتها.

بوجودي مع أهلي وناسي ...بحضن بقعتي وإقليمي هناك دائما راحة وسهولة رغم ما أتلقاه من الأيام والزمن.

كنت لا أحس بعظمة المصاعب والمتاعب و...عظمتها المعروفة ..وجودها خفيف.

فالذين حولي يساعدونني على اجتياز الصعب بالسهل الممتنع.

الدنيا أرى بحلول رأسها برجليها...دخت لفاجعة الانتقال.

عرضت الموضوع...أخبرت أم أولادي وزوجتي رقية ...ردها كان ممزوج بين فرحة وحيرة.

فرحة بترقية زوجها...حيرة كيف ستحل موضوع مهنتها؟ لأن إجراءات تنقلها تأخذ وقت.

الرحيل صادف موعد امتحانات الأولاد في شوطه وفصله الأول.

ما العمل؟....ما الحل؟....يجب أن أكون في برج بوعريريج في ظرف أسبوع.

غطست أنا وأسرتي في بحر الحلول ,صنارتنا اصطادت رحيلي أنا الأول وبعد فترة..أيام يلتحق بي أحبتي.

لم يكن أمامي إلا أن أقبل بهذا الحل ...فلا بد من تحسين الوضع , والى الراحة والرفاهية أضعهم ونفسي أضع.

دق يوم رحيلي ...جهزت الحقائب ...على مقدمة الباب وضعتهم.

كان بيدي أربعة وعشرين ساعة على الرحيل ومغادرتك يا سطيف.

بالتوتر الشديد والحيرة....متوتر حيران كنت... بمن أبدأ إعطاء كلمات الوداع؟.

الحنين إلى الوالدة دفعني...حملت رجلي وعندها كسلان وفشل ذهبت.

صعدت أدراج المنزل درجة تلي درجة, كل صعده كان الجسد ....ميزان بدني ثقل.

....بشلل نفسي كنت أحس.....به ظننت أني أصبت.

دخلت على المطبخ...شدتني رائحة الكسكس فاشتهيت تفريغ ملاعق بفمي...زيارتي التي كانت وداع بمجملها سدت شهيتي, وتركت سوى حاسة الشم تتلذذ.

لم أجد والدتي فاطمة بكذا مكان وأنا أفتح باب غرفتها بهدوء...على سجادة الصلاة كانت أمي تدعوا لي بتضرع وخشوع.

بوجودي أحست رغم عدم تفوهي بحرف واحد.

قالت:

لما أنت والباب جامدين؟..أدخل ما بك؟.

وأنا كالمادة الصلبة...كشيء من الثلاجة تم إخراجه.

تجمدت كل الحركة عند فرحات وأمي من شكلي هذا تكثر الأسئلة.

الأم فاطمة:

اجلس يا قرة عيني..عن الباب تحرك وابتعد..ما الذي حصل.. حدث؟ أثرت فضولي وأيقظت قلقي وعليك جدا حيرتني..تكلم يا ولدي.

عندما زارتني وعادت الحركة صاروخ من النوع الجيد اشتغل بأعضائي.

بجسدي المشعل بالنار إلى أحضان الغالية سقط الصاروخ, وبحضنها وضمها إلى صدري عادت الحركة إلى سكونها وجمادها.

بالعيون المغمضتين ويداي المضمومتان بظهر قلب العائلة...بكيان أمي ما أردت الرحيل...لم أشأ مغادرتها.

بها أنا مرتبط جدا..ابنها الوحيد كنت...أنا وأختي فوزية المقيمة بفرنسا وفقط.

أبي لم أتمكن من توديعه ولا رؤيته, لأنه كان بفرنسا يعمل هناك.

الكل كان يستغرب لحالي وهروبي من الرحيل...كانوا يردوا عليا بقول:

برج بوعريريج هنا وقريبة جدا...ليس هناك بحر بيننا , إليها لا نذهب لا بالسفينة ولا بالطائرة, وبالمشي الذهاب إليها ممكن.

لا أحد ..لم يستطع الكل فهمي ولا قراءة ما أنوي وما قلت...ولم يصل كلامي إليهم كما أود توصيله...

...استخف الكل بحالي وشعوري و...

لم يفهموا أن سطيف منها لن أرحل ...بغيرها صعب أقيم وأكون وجد متمسك ومتعلق بها وبكل ما فيها.

أمي غير الكل كانت..شعرت بوجعي وبما أحس به دون النطق والقول...دخلت موطن..عالم أحاسيسي ومشاعري ومعهم تعايشت ورأت شكل معيشتهم..

فعلا كما قيل:

" الأم تقرأ أفكار أولادها, وبدون القول يصلها الكلام".
استطاعت والدتي أن تذيب قياس معتبر من الجليد الذي كنت فيه.
نطقت...بعيني..نظرت الغالية إلى عيناي , ويديها بلمسهما الناعم على خدي ترد على ألمي بالراحة.
كلمتني بالدمع قبل اللسان.
قالت:
تنفس يا فرحة عمري فهذه هي الحياة
نعم رؤيتي لك ضرورية, فأنا قبل أن أراك ...القلب والمخيلة يسبقوا البصر
لا تظن أن رحيلك صعب عليك وفقط...رحيلك عني معناه الموت البطيء
تعودت على وجودك بكل تفاصيل حياتي
أنت ونيسي في وحدتي...أنت....أنت...أنت....
ماذا أقول إلا أنني سأتعذب لفراقك
ما أتمناه إلا أن يكون رحيلك فيه خيرا لك.
الذي سيداوي جرح البعاد الذكريات وأمل الرجوع.
" إن كان للعمر أجل فلكل ثغرة من حياتك نتيجتها ذكرى".
فابتسم يا بني وأرضى بنصيبك وما أتاك.
يا ولدي فرحات إن لم تجمعنا مدينة واحدة وحي واحد وبيت واحد, فوطننا الجزائر يجمعنا ومعه الحب والقرابة والدم.
فأنت لن تكون مغترب البحر مثل أبوك
بسط الأمر ...كل أسبوع ...يوم الجمعة بني فرحات يؤتي ويزورني.
كانت أمي تتكلم عن لساني ولسانها, وأنا سوى كنت أسمع.
لم أجد مجموعة حروف أجمعها.. بهم أكون جملة أو نصفها أرد على كلام أمي

كلامها زرع بكل كياني الراحة...
أقنعتني ...قوي أرجعتني...أبعدتني عن التصعيب وبالسهل وضعتني.
خرجت من عندها وأنا فرحات الرجل العملي الذي هو بوجه الحياة أينما رمته.
خرجت بعد ترك وعد بيننا, بأن لن تلهينا الحياة عن بعضنا البعض, وأن كل يوم أتصل بها ...نتصل ببعض ونطمئن على صحتنا وأحوالنا.
خرجت بعد أن ملأت معدتي بأطيب الأكلات وأحبها على قلبي ...وما أشتهيه من يد الأم المباركة فاطمة أكلته.
كانت وجهتي الثانية إلى المقهى المفضلة عندي , لشرب القهوة مع الأصدقاء والأصحاب والمعارف.
وضعت خطوة من رجلي على مقر القهوة , وأنا جد ملهوف على فنجان قهوة ساخنة.
طلبت القهوة...وشربت فنجانين ببطء وتروي , وأنا أنتظر أحد المعارف والأصدقاء لرؤيتهم.
لم أرد الاتصال بهم وإخبارهم بمغادرتي.
لم أتمكن بجرأة التوديع ...لم أتمكن أن أودع أحدا بعد أهل بيتي.
كنت أنتظر والنغزة التي تنغزني بالداخل تقول لي الوقت تأخر ...لا وقت أمامك.
أمرت القدمين بالوقوف والخروج من المقهى وعند الخروج سلم عليا العم مبروك الذي إن لم ينادي فرحات بني لما كنت عرفته.
استغربت لذاكرته وهو بسن التسعين أو فاق.معه شيئا فشيئا بدأت أتذكره...فقد كان بائعا للحليب بحينا القديم.فمن بقرته شرب كل الجيران مجانا وبمقابل.استفدت كثيرا من حليب غنمه وأبقاره وبقوة العظم تحصلت وكسبت.

عجبا...الذي تنتظرهم وتتوقع قدومهم لا تجدهم, والذين يكونون بعيدين عن بالك وتصورك تجدهم أمامك دون موعد أو سابق اتفاق.

أكذب لو قلت أني لم أسعد برؤية العم مبروك, وأكذب لو قلت أنه أنساني وشجعني على الرحيل.

التقائنا أرجعني إلى أجمل اللحظات...السنين والأوقات التي أمضيتها عندك يا ولايتي..

من هذا اشتهيت مضي الباقي هنا بسطيف وفقط..بهذه الأرض ومع هؤلاء الناس.

تفكيري ورأيي هذا غير منطقي عند كثير من الناس....نعم أعلم ...لما أخرجت إحساسي , وأطلقت رغبتي وأنا أعرف...هاجمني القريب والبعيد , الصغير والكبير , فالكل كان لهم نفس الرد...وأي رد ...رد مخلوط بالاستغراب...ضحك...استهزاء...

هذا ما أسمع...برج بوعريريج قريبة فهل أنت صغير ليصعب عليك الرحيل.؟..لن تذهب إلى كوكب أخر ...من كوكب الجزائر لن تخرج....و....و...

حكيت وجع رحيلي يا مدينتي , لكبيرك وصغيرك ولا أحد وساني ...لا أحد سمع غبائي وبمسايرتي والسير في خط حديثي كان معي.

لم أرى بأحد نار الفراق لا بالعين ولا بالكلام...ولا لهفة الاشتياق السابقة التي كانت عندي لم يشاركني بها أحد.

بعد كل الذي أحسسته من الذين توجهت إليهم وصادفتهم بطريقي...توقفت عندي الرغبة لرؤية أي أحد , ورفض إحساسي تقبل أي مبادرة من أحد.

ركبت سيارتي التي صرت أراها غريبة عني لماذا غريبة؟...لم أعرف لماذا.

...الشعور والإحساس عندي لم يكونوا متمركزين بالمكان الصحيح, ولا حتى العقل الذي داخ من التفكير الكثير , ولا القلب الذي حمل حسرة وحزن وألم و....

أخذت فاصل استعداد طويل لقيادة السيارة.

دست على المحرك وانطلقت بي السيارة إلى الأماكن التي أعشقها, بسرعة مررتني عليهم وكأن السيارة لا أتحكم بها, ولا تريدني أن أطيل الوداع أكثر من المدة التي حددتها سرعة المركبة .

مررت بكذا بقعة من بقاعك, والعين بالوداع كانت تقوم بعمل اللسان.

لا أعلم ...لم أجد مفسر لحالتي هذه ... وللوداع الذي كنت أمنحه للكل ...الإنسان...الجماد...المناطق....

أنا بطبعي لا أحب الوداع ...لا أن أودع ولا أن أحدا يودعني.

ببساطة لا أقوى على هذا الجو أحسه كئيب محزن وهو فعلا محزن ومحزن جدا.

مع أني تراجعت عن الوداع لحظتها , إلا أن كل شيء كان يحثني.الذين معي..معي يودعون سيارتي بيتي, حقيبتي و...

رجعت إلى المنزل جد تعبان...أحاسيسي ..مشاعري..أتعبوني .

بحدود الخامسة مساء كنت بالبيت , وسماء سطيف بالأمطار الغزيرة تودعني.

لم يكن أحد بالبيت, الأولاد لم يعودوا بعد من المدرسة, وحتى والدتهم المعلمة بنفس مدرستهم.

إلى الحمام دخلت...سميت بسم الله, وفي إناء وضعت الماء وبالوضوء بدأت.والى غرفتي وباتجاه القبلة فرشت السجادة ببقعة صغيرة من أرض الغرفة.صليت الظهر والعصر..انشغلت ولم أصليهم...معا جمعتهم, وبقضائهم كان المغرب قد أذن فأديت فريضة المغرب كذلك.

وأنا أصلي كانت رقية والأولاد قد وصلوا إلى البيت.
انفتح قلبي بفتح الباب...ارتحت كثيرا...راحة زارتني دون سابق إنذار.
بسرعة صليت وأنا أقول باليمين والشمال السلام عليكم, وبالابتسامة ولهف كنت أسلم.
كنت أظن أنني على يميني أدم وعلى شمالي علي, ووراء ظهري رقية...
فجأة لم أجد أحد....فالخيبة التي أوقعني فيها تخيلي أنساني في الدعاء وقول الأذكار.وبقيت عندي اللهفة التي جرتني من مكان إلى مكان من البيت بحثا عنهم.
اللهفة إلى باب المطبخ أوقفني ...الأكل على الطاولة وهم حوله يأكلون ...حوله كالضيف الحبيب على القلب يزور.
ورقية فمها ممتلئ نظرت لي بتعجب وقالت:
لما لم تشد الرحال والى برج بوعريريج ذهبت؟...فالوقت تأخر والشتاء أوقاته ضيقة وقصيرة.فهيا بسرعة اذهب قبل أن يمسك عليك الظلام المخيف.
ردي عليها كان بكلمة واحدة ..حسنا.
أين تعابير الوداع ؟....أين ردة فعل الاشتياق المسبق ؟
أين الاهتمام قبل الرحيل ؟...أين الدعوة إلى حضور مائدة العشاء ؟...أين مرافقة المغادر إلى غاية نقطة الانفصال ؟...أين الدموع والأحضان والقبلات الساخنة ؟
أين الدعوات والأمنيات والتوصيات ؟...
أين أنا من كل هذا ؟...وأين هم من فعلهم لهذا ولو حتى كذبا وتمثيلا وتظاهرا ؟..
أين محبتهم الموجودة بالقلب ؟..
اندهشت..استغربت..انصدمت..فوجئت..دخت..حزنت بما أوصلوني إليه من حالات.
لم أريهم حالتي التي كانت تضربني وتؤلمني.

لم أرد إزعاج أحد ولا قول لأهل بيتي , والى زوجتي شريكتي لأزيد من اثنا عشر سنبلة بأن.

" لا يقاس المحب بتسرب كلامه , وإنما بمجموع الأعمال والجهود المبذولة والمقدمة كطبق حب للحبيب".

لم ألمس فيهم الحب الذي كانوا يدعونه...ولا صعوبة فراقي عنهم .

أحضرت حقيبتي من غرفتي وأمام باب المنزل وضعتها لبضع ثواني.

أدخلت عيناي على حرم المطبخ...البصر كان يرى انشغالهم بالعشاء , واللسان في بئر نفسي كان يقول لرقية ولأدم وعلي.

" المحبة نتائجها تضحية وإصرار, سعادة والبعد عن الإضرار, سلام وانقراض الأشرار, تقوية التواصل وفسخ عقد الأسرار, الأمان والعيش أحرار".

على وقع هذا الكلام الذي لم يسمعه أحد , وبالأكل تركتهم فتحت باب المغادرة لوحدي , وأقفلته ورائي.

حملت حقيبتي الثقيلة جدا بشق الأنفس, وبالسيارة وضعتها.

والى شرفة منزلي كنت أتأمل أنظر أنتظر...كان هناك أمل منها أراهم وهم بأيديهم يلقوا سلام الوداع

تأملي للشرفة التي نوافذها مغلقة ولم تنفتح طيلة انتظاري والبرد والمطر يذلني.

يئست...إيه والله..وبالانصراف بسرعة قررت, وبأن لا أنظر ورائي تحديت نفسي وفضولي ورغبتي..

"آه فما أصعب أن تقف وقفة الوحيد المنسي بين السماء والأرض".

...أخذت مني الطريق فوق الساعتين مع أن الطريق منك يا سطيف إلى برج بوعريريج ساعة وقليلا فوق الساعة.

سبب طول الطريق عندي , قيادتي البطيئة وتوقفي بين الحين والأخر الكثير...والتعب الشديد الذي كنت أشعر به كاد يوصلني إلى حادث فضيع وبشع لولا ستر الله ودعوات أمي عليا ورضاها الدائم.

الساعة التاسعة ليلا وعدد كنت وصلت عند بوابة برج بوعريريج.

توقفت وصرت أمام مدخلها أنظر إلى الأمام والى الخلف.

رفعت يدي ورأسي إلى الخلف ..وحاسة البصر تنظر واليد تقول بالحركة وداعا يا سطيف لن أنساك , واليك سأرجع أكيد بكل فرصة تزورني وتطرق بابي.وتجديننني عندك أكل وأشرب...أزور الأحباب و معا نتقاسم الاشتياق.

نزلت قطرات دمع من عيني اليمين وأنا أقول هذا الكلام لك.

أعطيتك يا مدينتي النصيب القليل من الكلام والتعبير .

بعدها صوبت العين إلى الأمام وأنا بالثانية برج بوعريريج لها أقول:

ها أنا وصلت عندك كضيف طويل المدى...كصحفي عندك سأصير أكتب عن قضاياك ومجتمعك الذي لم أعاشره ولا أعرف عنه أي شيء.

سأقيم عندك إلى متى لا أعلم...سأتعايش معك ومع أهلك ...مع ناسك مع عاداتك وتقاليدك ومع أعرافك.

ستكوني يا برج بوعريريج محتضنتي الثانية بعد الغالية سطيف.

سأكشف لك علاقتي معك...اعذريني على هذا الكلام يا مدينتي الجديدة....أنا لست سعيد برحيلي.عملي هو الذي رماني بأرضك...حبي الكبير لولايتي لن أمنحه لغيرها...وراحتي التي بدون شروط ووسائل لن أحس بها ولن أعيشها إلا وأنا بقلب سطيف.

خذي مني يا موطني الجديد هذا الوعد...

لن أتعدى أعرافك ...عاداتك وتقاليدك ...نظامك وقوانينك..
الضيف المحترم والمؤدب ...المتخلق والرزين سأكون تأكدي.
لن تري من جانبي إلا الوفاء والإخلاص والمصداقية والشفافية التامة, والنزاهة الكلية في العمل.
سأحاول أن لا أحسس نفسي بأنني غريب عنكم ...وسوف أتأقلم بفترة وجيزة.
سأحب عملي....جيرانك...ناسك.ولكن...سامحيني لن أتخلى عن مبادئ وأخلاقي مقابل إرضائك شكلا وموضوعا.
لن أتكلف و أكلف نفسي...بطبيعتي وعفويتي معك ومع المتواجد بك سأكون.
سأحفظ أسرارك ...وأخطائك وعيوبك...
في غيابك سأتكلم سوى عن محاسنك وزينة أعمالك...
لن أكون فرحات كما في سطيف كما في برج بوعريريج.
متحفظ سأكون...حذر...محافظ...جد منتبه...
لن أدخل نفسي فيما لا يعنيني ...ولا فيما يخص غيري لا...إلا في حدود العمل وما تأمرني به إنسانيتي وديني...وبطلب منكم.
سأجتهد لأكون ضيفا خفيفا عليكم ...ومحبوب في أوساطكم.
سأسبق الشك والظن والفتنة بالثقة والتأكد , وبالنصيحة والإرشاد والتوجيه السليم طالب ومعلم وناشر سأكون.

معك...عندك سأرسم أمل جديد وأبني مصير يبشرنا الاثنين بغد أفضل.
عندك لن أنتظر الرصيد المتبقي من الأيام مع إدراكي لمضيها برصيد فاقد لشتى الأحلام.

" وسأشطب حكم الإعدام من قاموسي وأصدر حكم مؤبد لبستان أمالي, وسأقطف عندك بفجر يومك الجديد ثوبا مغاير لحياتي".

" وبنبضة أمل سأمسح دمعة الاشتياق والفراق, وسأتمسك بالأمل بمجموع النبضات المزدادة لإبطال اليأس وانعقاد التواصل مع النفس قبل انعقاده معك ".

لن أقلد الناس السطايفية وأنا بأرضك

سأبتعد عن اليأس المتبوع على الدوام, وأحرر الأمل..الطاقة المخزونة ولن أدع روحي عندك تتخبط.

سأتمسك وأنا عندك بكل ما هو جميل, وبالزيادة أجعلها وأجتهد..أكافح...أسهر لتكثيرها بين الحين والأخر.

أصخر نفسي بالانطلاق دوما بتلوين حياة الغير مدى الأزل...وأنت تمنحيني قيمة ثقل الجمل.

بتواجدي هنا سأسحب النجاح من الأسفل إلى الأعلى, فأسفلها قرينة على تواجدها من نقطة البداية , وأعلاها دليل على النجاح المتفجر بنجاحات قبل النهاية.

الآمال والطموحات والرغبات...الطاقات بخزائنها المملوءة والمغلقة ....بمفتاح البداية عندك سأفتح أبوابها.

شرايين الحياة عندي بشرايين التفاؤل والإصرار والتحدي أشغلهم.

سأعيش لحظات حياتي ذهب قبل فضة وفضة قبل نحاس...ولن أدع صندوق نفسي يتخبط في فقر بعد غنى.

والمحبة بيننا ستسبق كل هذا.

منحي ومنحكم للمحبة لن يكون جنسها لا ذهب ولا ألماس , بل سيكون سكنها القلب.

عندك المحبة سأجعلها قاعدة عامة وإلزامية , لكي تخلق وتزيح بنفسي وأنفس عبادك حاجز التعامل بدونها.

سأسارع للاقتداء بالمحبة دوما وجعلها مبدئي الأساسي ونقطة بداية كل تفاصيل حياتي معك.وسأمارس جميع الأدوار...ودور البطل ..الحب يمنحني
أداة تواصلي
سأبتعد عن الحب الذي كله نقمة من ممارستي...وبجعل محبتي وسيلة طمع وجشع واستغلال, وخدم مصالح...عن هذا سأبتعد بآلاف الكيلومترات...ما بين البحر والسطح سأكون.
سأتقرب من الحب الذي سأتدارك قيمته...قيمتي ...وقيمتكم وبجعل الحب نعمة تنعم عليا وفقط.
لن أكتسب ولن تكسبيني ...تنسبي لي لقب المجهول.
عندك أسجن الشك بتجنب الوقوع فيه , وبجعل الطمأنينة تغلب عليه.
لعبدك الظالم لي سأمنحه قلم تدوين محضر براءته
فلكل تهمة إثبات ولكل دليل حق الدفاع.
لن أطعن ابنك بسكين هو شك وسوء ظن...وظلم وإيذاء
سأركز على نجاحي الذي ستشهدين أنت عليه وبه تكرميني.
" سأجعل النجاح عائلة اسمها الكفاح, جدها الإصرار. أبوها العقل المدبر, أمها الإنتاج, أبناؤها تسويقه وأحفادها الربح بعد النجاح".
طريقي وأنا بأرضك لن أمشيه مشية الجاهل المجهول, ولن أنتسب لصفة الظل وأصير المذلول.
هذه هي النقاط التي سأرتديها , وبالثوب المعتاد ستروني به بإذن الله.
سأدخلك ومنك يا برج بوعريريج لن اخرج مثل ما دخلت وبهيئة أفضل أترك بصمة ألماسية ..
رؤيتي الغيبية تخبرني الحين أنك ستحزنين لفراقي ورحيلي الذي متى لا أعلم...وأنا أيضا سأحزن.
اطمئني لن أنسى المفروض واللازم.

عن الجرائم عن الظلم...عن المشاكل سأكون بعيد لا تخافي.

عندي إحساس يا مدينتي وموطني الجديد أنني سأحبك وأتمسك بك ...قصدي معا.

...دست بسيارتي على مقدمة برج بوعريريج بقول بسم الله, ويا رب اجعلها مدينة الخير والأمان والستر أكون فيها, ولا تخرجني منها إلا وأنا واحد منهم ومن أحبائهم

أكملت طريقي...سرت في حدود أربعة كيلوا ممكن أكثر قليلا.

أسير وأتوقف كل مرة...مرة عندما أرى أحدا مارا بتلك الليل البارد الذي كله أمطار , وأسأل عن الحي الذي فيه العمارة التي بها المنزل الذي سأقيم به.

من أخ إلى عشرة إلى عشرين وصلت إلى أرضية العمارة وإقامتي بولاية برج بوعريريج.

كان وقتها الحي هادئ لا وجود لبشر بالخارج سوى السيارات, التي منها ما هو مغطى ومنها من غسلتهم الأمطار جيدا وبرزق السماء صارت تلمع.

لم أنزل من السيارة أنا وحقائبي إلا بعد أن أمضيت في حدود عشر دقائق, أتأمل المكان الذي لم أراه كله , فالأضواء المشعلة الضئيلة لم تكشف لي المكان جيدا, وبوضوح لم أستطع لا للتعرف على المكان ولا للمكان أن يتعرف علي.

أجلنا التعارف وكشف الهوية إلى النور الذي سيشرق باختلاطه مع السحاب , هذا ما أخبرتني به نشرة الأحوال الجوية من الإذاعة الوطنية التي تابعتها بمذياع السيارة.

انفتح باب السيارة...أنزلتني وأنزلت مرافقي.وبوجهي إلى باب العمارة...الباب الرئيسي...فتحت الباب بدفعة...دفعة خفيفة...لم ينفتح أتعبني...جربت ثانية بدفعة قوية انفتح.

صعدت الأدراج ورأسي إلى الأعلى ينظر ويحقق.

مررت على الطابق الأول...بعد الثاني...بالثالث كنت ضيفا لهذه العمارة.

بالشقة الموجودة على اليمين كان مأواي ببرج بوعريريج.

لساني كان يخاطب نفسي لحظتها...وقعت بالشقة اليمنى ...فأكيد هذا بشرة خير وعلامة حظ.

كنت كل تفصيلة صغيرة أراها وأنظر إليها على أنها ستأتي لي بالخير والجميل.

كنت أصبر نفسي بهذه القراءات والتوقعات والتخيلات

لا أعلم...نعم كنت أرتاح بهذا التفكير...أتفاؤل بتنفس عميق.

وضعت يدي التي كانت تحمل مفتاح ذهبي اللون...بالفراغ المخصص للمفتاح وضعته...فتحت الباب بهدوء شديد.

لم أنسى فبرجلي اليمين دخلت.....

تسلقت يدي وعلى الزر ضغطت فنشعل الضوء

دهشة الانفعال الأولي تحولت إلى بسمة رقيقة خفيفة.

كنت أرى أن الجدران والسقف والأرضية, كانوا يرحبوا بي

كل شيء موضوع معلق...موجود بالبيت الذي أول مرة أدخله وبدا لي أنه غريب كل ما في البيت جعلنيأشعر أن لي شهور وأنا به...أو كأني غبت فترة ورجعت.

رغم الغبار الذي غير لون المنزل...رأيت أنه سيريحني , يشبهني...كان..كنت هكذا أراه.

بالانسجام..بالرغبة إلى رؤية كيف هو البيت لم أتأخر, وبأني غريب عنه والبيت غريب عني...مر هذا الإحساس وهذه المرحلة انسحبت

الجوع لم يزر معدتي...إلا التعب كان رفيقي.

النوم أرسل له بدني أمر التأخر بهذه الليلة.وفعلا استجاب ونفذ الأمر, ولم يتقدم إلا لساعات متأخرة...بساعات الفجر سهرني أنا الكل ..

أمضيت الوقت كله في الاكتشاف والتعرف...بالتنقل من شرفة إلى شرفة كنت أتردد..

رأيت زرت كل مداخل المكان , وإطلالات البيت..

...للمنازل كنت أعد...للجيران كنت أنتظر خروج دخول أحدهم..

الذي رافقته كثيرا طيلة ليلتي ببيت غير بيتي المعتاد...المطر الذي كان ينزل بكثرة, وبقطرات جد رقيقة.

صاحبت المطر...سهرت معه..فتحت له صندوق المشاعر والأحاسيس..حكيت له عن حالي الحالي..وقبله..وحتى بعده بقراءتي الغيبة المعتادة التي لم أتوقف عنها , بالعكس هي زادت عندي بمقياس..بدرجات ونسب كبيرة جدا وجدا.

لم تكن قراءتي هته تزعجني أبدا كنت أرى بها مستقبلي الجميل الذي أنتظره وأبنيه...كانت تبعد عني الشؤم واليأس و...

...نعم غيري كان ينزعج منها..ليس دائما أحيانا وبأوقات ..هكذا...بمواقع معينة لم تكن تقنع وتعجب.

رؤيتي المستقبلية الغيبية بصريح العبارة, غالبا كانت تسليني وتحضر لي الحظ والتفاؤل وبهذه القراءة كنت ساحر...ساحر بعيد عن الأفعال الشيطانية الجنية ...ساحر بسحر كل ما يزعجني ويتعبني..يبكيني ويحزنني..أحارب السلبي فيحضر إلى كياني الايجابي بفعل هذه القراءة.فما أحلاها من بين القراءات والتوقعات والأحلام والتخيلات.

مهلا أنا بعيد عن قراءة الكف وبالأشياء..لا..قراءتي كتابها خيال وحلم..تفاؤل وأمل..

ما أحلى أن تدخل في حوار وصداقة مع المطر..بسرعة تنسجم وتنسى مخاوفك ومبادئك..وأسباب بعدك عن الكلام وإخراج حقائق الجيران التي تعيش بباطن هو نفسنا, النفس التي بها أهل ..أولاد ..أصول فروع..دائما يمنعونا يربطونا عن قول كل شيء وكشف الأسرار المتواجدة معهم ..مطبقين ما يقع بمنزل النفس لا يتعدى الجدران الخارجية..

عجبا..فعلا عجبا لمخلوق من مخلوقات هذا الكون وهته الطبيعة نرتاح عجبا..إلا الإنسان لأنه عنده اللسان الذي أنا وأنت والكل يخوفنا قبل تحريكه وبعده..

حكيت مع المطر وهو كذلك كان يحكي معي..كان يصلني رده الذي يا انفعال يا هدوء, يا موافقة للرأي يا اعتراض.

بالرعد كان ينفعل ويعترض..وبالسقوط الكثيف الغزير كان يحاول إقناعي ويثبت لي أنه فعلا معي موجود..ويسمعني.

البرد لم يبتعد عني..كان يدفيني بمعطفه الذي لم أرتديه ولم أحس بنعومة ودفأ نسماته وملامحه من قبل..وأنا والمطر انضممنا إليه.

ممكن كل من يسمعني ويصله هذا الكلام يضحك..لأنها نكتة ..لأني أنا نكتة ومضحك.

أنا عشت صداقة ومررت بوقت..ليلتي مع البرد كانت من أجمل الأوقات والليالي. من شق أنهم كانوا معي ..رأيت وأحسست وعشت..المطر أوصلني إلى ما كان يلزمني من ثقة واطمئنان.. من راحة وأمان..من نسيان وتحمل..

موعد النهاية قدمت فترة انتهاء مهلة تنفيذ الأمر من طرف النوم, قد انتهت.. وبالأمر أمرني النوم بالتوجه إلى مكان يمكنني النوم فيه وبه الجسد يرتخي وممارسة الفطرة الجسدية..

تجولت بكامل البيت باحثا عن مكان نظيف ومهيأ وممكن وسامح للنوم..لم أجد.

ومع دخولي للحمام...بسرعة انتبهت ..لمح بصري حوض الاستحمام الذي مرت عليا فكرة , أنني أضع عليه فراش سميك وبه أنام..

فالغبار وبيوت العنكبوت لم يمنع منها أي مكان , إلا حوض الاستحمام الذي كان أقلهم..

بالقميص..قميصي الأزرق الذي أخرجته من الحقيبة التي رافقتني ...به تم مسح الغبار ونزع البيت والخيوط العنكبوتية.

وضعت فراش من خزانة الحائط جلبتهم..الفراش كان قديم نوعا ما..لكن لا بأس كان يؤدي الغرض.

لا تصدقوني إن قلت نمت تسع ساعات متتالية متواصلة..دون انقطاع..أراحني جلبني جدا المكان أعني الحوض بنوم الرضيع المولود حديثا..لنوم عميق ثقيل بعيد عن الإحساس السريع كنت سيدهم.

...الكوابيس لم تزرني..لم أتذكر عند استيقاظي ماذا نمت؟ وما حلمت..؟.

استيقظت جد جائع..معدتي تتشاجر والى الأكل أي شيء دفعتني..

فتحت الثلاجة بها لم أجد شيئا وذرة التي تدخل إلى المعدة وتصبرها غير موجودة.

دون تأخير أخرجت من جيبي مئة دينار جزائري ومن..على الشرفة وقفت أتفقد أي صبي يمر وأنا أناديه من أجل إحضار الفطور لي.

حمدا لله لم يطل لا تفقدي ولا انتظاري..لمحت طفلا خرج من العمارة المقابلة لوجهي.

بصوت عال ناديته...نظر لي بصمت..

طلبت منه تلبية خدمة لي..لم يرد الصبي لا بالقبول ولا بالرفض.

لم أعرف وقتها هل أرمي مئة دينار أولا..

..وبينما وأنا أنتظر جواب من الطفل كان رجل قد وقف بجانبه , وبتوجيه الكلام لي قال:

صباح الخير..أنت جار جديد أليس كذلك؟ ...

بالابتسامة إليه ..أنا عليه رديت وجاوبته.

قال أيضا:

أعذرنا ..الأولاد هنا الذي لا يعرفونه لا يفتحون له باب الكلام والحديث معهم.فلا تهتم...دقائق وأحضر لك الفطور.

لم يتح لي هذا السيد الذي لا أعرفه ولم أتمكن من التعرف عليه أن أعطيه المال...لكن مبادرته هذه معي جعلتني أطمئن للمكان وناسه وسكانه.

ذهب هذا..الذي لا أعرف اسمه..وبإعطائي له النقود للشراء لم يتح لي الوقت الكافي.

دخلت..وبوسط البيت وقفت حائرا من أين أبدأ التنظيف ؟ وكيف؟ لم أكن أعرف

من معطفي ..من الجيب الوسط أخرجت الهاتف , وبالعلبة المربعة الكهربائية أوصلته...انفتح بدأ يرن...نظرت..لمحت رقية تتصل بي...وبنفس اللحظة دق جرس البيت.

تركت الهاتف يرن وذهبت لفتح الباب..

...من كثرة الجوع مسكت الكيس من يد الجار الكريم, واتجهت مباشرة لوضعه على الطاولة التي بالمطبخ.

جلست وبلهفة كبيرة صرت أكل..بسرعة أبلع وأهضم.

نسيت والله...الجوع أنساني أن أرد على حركة الجار بالشكر وبإدخاله..

جار العمارة المقابلة لعمارتي ظل واقف أمام الباب المفتوح.

وأنا أكل مع الابتعاد عن التفكير لمن حولي..دخل هذا الجار إلى المطبخ.وبكلمات الخجل والإحراج وخوف الانزعاج قال:

هل تأمرني بشيء أخر؟ ..أي شيء تريده أرجوا أن تطلبه مني ؟.

وبالفم الممتلئ بالأكل لم يخرج معي الكلام..

...بالابتسامة أمرته أن ينتظر نزول الأكل إلى المعدة التي ما كانت أن تشبع وتتوقف عن التلذذ.

نطق الجار بعد تلفته يمين وشمال..من الأعلى إلى الأسفل للبيت.

..البيت وسخ جدا ويحتاج إلى تنظيف مكثف وكامل, من أرضية وسقف وجدران...وطبعا نحن الرجال ليس لنا بالتنظيف مثل النساء..فاطمئن يا أخي أنا سأرسل زوجتي وبعض الجارات إلى منزلك بعد إذنك طبعا, ليتم تنظيفه وإرجاعه إلى مكان وبقعة ممكنة للعيش.

بقي الجزء القليل من الأكل الذي كانت تحمله يدي, وبعد أخذ المعدة جرعة صبر ..للجار قلت:

أنا فرحات من ولاية سطيف...جئت البارحة فقط بالليل..

الجار:

أهلا بك نورت برج بوعريريج.

قلت:

شكرا لك ,أنا سأقيم هنا لأجل غير معلوم.

تبادلنا الحديث الذي كان كله سين وجيم.وبعد أخذ قسط من الحوار والكلام نزلنا سويا..والى تعريفي وتجولي بالمدينة أخذني الجار ياسر.

ذهبنا وتركنا عدد من النسوة في حدود خمسة نساء ببيتي الجديد لتنظيفه , ومعهم نسيت وتركت هاتفي..

...مررنا تقريبا على كل الأماكن المعروفة بولاية برج بوعريريج.أمضينا وقت..إن قلت رائع فأكون أخطأت في وصفه, وان قلت ارتحت وفقط فأكون قد خنت مشاعري وأحاسيسي بقول الحقيقة والموجود..

كل شيء فيها...البعض من أجل أن لا أبالغ ساعدوني ...جعلوني ..عيشوني..أكدوا لي بأنني الجزء من الكل.

الشوارع تشبه سطيف إلى حد ما...شعرت أنني صرت جزء من هذه المدينة.

لم أصدق بعد رجوعي ...بعد دخولي إلى المنزل بأنه نفس البيت الذي كنت فيه البارحة..الذي أقمت ونمت فيه.

الحمام ليس بنفس الحمام...المطبخ وكأنه تم بناءه وتغييره من جديد...الغرفة معطرة بأحلى العطور...بعطور ..بمائة

عطر مختلطين رشت بكل شبر بالبيت.وحتى حقيبتي...ثيابي ليس كما اصطحبتهم معي.

كل شيء متغير..كل شيء مسح ببصري الرؤية السابقة الأولية.

انصدمت..لم أصدق..صدمتي وعدم تصديقي منبعها كان الإعجاب الشديد , وحب الجو..المنظر الجديد.

غاب الكل وتركوني مع الاندهاش أبحث عن المغير لشكره وتقبيل رأسك.فما رأيته وما بدر من هؤلاء الجيران , من الخوف إلى الطمأنينة نقلوني وانتهت مقدمات التأقلم.

تفاعلت ودخلت, عشت مضمون تنقلي معهم.

أبعدوني بمواقفهم معي عن التصنع, وبدخول العمق بسرعة لم أمر على السطحي.

ترحيبهم ومساعدتهم كشفوا لي...ظهر معدنهم من بين البشر

من هذا لجأت إلى المقارنة بينهم وبين أسرتي الصغيرة, فبدأت بسرد ايجابيات وسلبيات كل منهما .

موقف أسرتي معي عند رحيلي أحزنني..جرحني..أوجعني..بثلاث سكاكين طعنت أحسست بطعناتهم.

إلى مكان وجود هاتفي..حملته واتصلت برقية زوجتي.تكلمنا وأدم وعلي حدثتهم وطمئنا بعضنا البعض.

لم تستغرق مكالمتنا وقت..الدقائق القليلة باللاسلكي جمعتنا.

الجرس للمرة العشرين يرن..

...مائدة المطبخ جمعت أشهى الأطباق وأنواعها, وبالعشاء هذه الأكلات وتلك ...المائدة استدعتني بدعوة قام بإبلاغها رائحة ومنظر الأكل والكرسي للجلوس شاركهم بدعوتي.

أكلت باستبعاد الشبع ..القناعة والتوقف من طرفي. الا أن الذي أوقفني من مائدة العشاء المبكر..ماذا أفعل؟...لم أقوى

على الانتظار..صوت المؤذن إليه شدني.. وللأكل وعدته بالعودة لا مفر ولا هروب.

صليت العشاء بالبيت..بالبكاء ..من الفرحة ..من الانبساط من الذين حولي حمدت الله, وطلبت منه إتمام ودوام المحبة بيننا وزيادتها.

تغير فيا كذا شيء...بالأحرى أشياء كانت عندي نسبتها خمسين بالمائة صارت مئة بالمائة.

دخولي لبرج بوعريريج ليس كحالي الآن, أشياء كنت خائف منها وكنت أظن أنها سوف تأخذ مني وقت طويل وفترة لا تقل عن مجموع أيام وأسابيع.

حساباتي ظنوني ...أصحاب هذا المكان أنهوهم عندي ..غيروا بقعتهم بالقرب من بقعتي.

ومع زيارة يوم جديد باليوم الثالث زارني كل الرجال الذين بعمارتي وبعض العمارات المجاورة وبالشاي الطيب والكيك المشهي وبكل أنواع المكسرات لا ننسى.

الأيدي عند دخول بابي كانت في حالة حمل لأكياس قلبها ومضمونها يختلف من زائر إلى أخر.فجلسنا جلسة رجولية كانت مليئة بحكايات التسلية مع إدخال شبح الرجل المرأة والزوجة.

أخذنا الحديث والجلسة الرائعة الجميلة الحميمية إلى ساعة الفجر, أين قمنا الجميع وتوضئنا وصلينا صلاة جماعية بغرفة الاستقبال عندي, بعد أن منعنا الجو من الخروج والصلاة بالمسجد وكذا إرهاقنا الشديد من السهر.

..بعد الصلاة بدأ كل واحد منا يزوره النعاس الشديد , والجسد أينما أنهى به النعاس نام.

أخذ النوم من وقتنا..إلى الساعة إحدى عشر صباحا أيقظ الأجساد المنهمكة والمتعبة من وضعية وشكل النوم.

سبب استيقاظنا...أقوى سبب كانت الهواتف التي لم ترد التوقف عن الرنة والاهتزاز.

الهواتف كانت تري لكل صاحبه ومالكه شبح ..غضب اسمه زوجتي.

لم نسترجع الوعي والتركيز ...الذي ساعدنا على إحضار البعض من النشاط , شرب القهوة التي لم يحتضنها مطبخي

اتصل الجار المقيم فوق شقتي بزوجته , وأمرها بتجهيز القهوة وإرسالها مع الابن.

لم نستطع ولو التوجه إلى الحمام لغسل الوجه..

..استيقظنا نصف استيقاظ, والنصف الأخر أكملته القهوة الساخنة.

بعد الشرب البطيء بدأ ينصرف الواحد تلو الأخر ..الكل إلى بيتهم اتجهوا.وأنا إلى الحمام دخلت ...استحما الجسد ...من الاستحمام استرجعت النشاط اليومي المعود عليه.

لم تخلوا مائدتي من وجبة الغداء في هذا اليوم.ومع ذلك لم تتمتع معدتي ولا شهيتي بجميع الأكل..فموعد صلاة الجمعة أبقى معظم الأكل على حاله.فارتديت ملابسي بعجلة, ورافقت جاري ...جيراني إلى المسجد.

أنا أحب الصدف والصدفة تحبني.فدرس الجمعة كان حول الضيف, وواجب الناس..فاستفدت واستفاد أهل مدينة برج بوعريريج وزاد كرمهم ووقوفهم معي.

لأول مرة لست تائه ببعدي بعد أحبتي وأهلي عني وأنتي يا سطيف.

..أمضيت الوقت بعد صلاة الجمعة في قراءة القرآن إلى غاية العصر, الذي صليته وبقيت بالمسجد لحضور درس من الدروس الدينية التي تقام ببعض أيام الأسبوع وما بين العصر والمغرب...المغرب والعشاء.

تقربي من الله الكبير , والإيمان الموجود بداخلي أنزلوا على قلبي وروحي وكامل جسدي السكينة والطمأنينة.

...عدت إلى البيت بوقت متأخر وأنا أفتح الباب, وصل إلى أذني صوت وصراخ من البيت الذي يقابلني الذي على

يساري.فوقفت وسط البيتين بيتي والبيت الصادر منه الصراخ.بدأت أتقدم ناحية الباب..أتبع نقطة صدور الصوت العالي المرتفع.طرقت الباب بشدة ...بعد عشرات الدقات لم يفتح لي الباب رغم وجود صراخ بالداخل.

ماذا أفعل؟ ..ما العمل؟ لم أستطع التفكير واتخاذ القرار...

بقيت يدي موضوعة على الباب وتدق بشدة, حتى صرت لا أحس بها ملتصقة بالجسد.توقفت يدي عن الدق والخبط لما توقف صدى الصراخ...والهدوء كان الرد بزوال أسباب الصراخ أو لسبب أخر لا أعلم.لكن نهاية الصراخ لم تطمئني أبدا, وعن الباب لم تبعدني, وعدت ثانية إلى رن الجرس, والدق حتى تقدم نحو الباب شخص..هكذا أحسست.

كانت فتاة..من صوتها عرفت بأنها أنثى التي قالت لي وهي وراء الباب لم تفتحه.

من الطارق؟..من أنتم؟..ماذا تريدون ؟ ..

نطقت أنا وعلى أسئلتها رديت قلت بالسؤال:

هل أنت بخير ؟..هل تحتاجين إلى مساعدة أو شيئا من هذا القبيل ؟...

ردت الفتاة:

اذهبوا لا نحتاج

طردتني..كانت خائفة...لها قلت:

سمعت صراخ..هل أنت من كنت تصرخين؟..

الفتاة:

ظننت أن أحدا دخل البيت..على هيئة سارق..لكن بالأخير أخطأت فكانت قطة دخلت وأحسستني بوجود شيء غريب ومخيف.

قلت أنا:

حسنا ..لو تحتاجين أي مساعدة فأنا هنا أقيم بالبيت المقابل هذا فأنا جاركم الجديد.

وقفت أنتظر قليلا رد الفتاة بأي شيء, لكن لم يخرج منها أي صوت ولا حركة.فأقنعت نفسي وضميري أنني عملت اللازم والذي بيدي.

انصرفت من أمام بابها والى منزلي دخلت , وقضيت ساعتين قبل النوم في مشاهدة التلفاز.وقبل النوم بدقائق اتصلت برقية وتكلمنا قليلا, وبمعرفتي بأنهم يخير نمت كالليالي الماضية نومه هنيئة ومريحة, وجد عميقة كلها أحلام سعيدة ورائعة.ومع طلوع يوم جديد والسماء بعض بقعها مكسوة بنور الشمس التي حرارة ببرودة.قمت من السرير مسرعا بعد أن كشفت أن الفجر مر عليه ساعة.

في هذا اليوم اعتزلت وتنازلت فيه عن الخروج من البيت.وشغلت نفسي ووقتي في العمل وتحرير بعض المقالات,لأنه تم الاتصال بي من مكتب الجريدة وأعلموني بضرورة المرور غدا عليهم, واصطحاب الأوراق من طرفي لإنهاء إجراءات تثبيت عملي هنا.

تحمست أنا جدا بعد هذا الاتصال والذهاب غدا.لرؤية ومعرفة طبيعة العمل هنا..والبدء في عملي.وكان لا بد مني أن أخذ معي كذا مقال كعربون عملي عندهم كنائب رئيس تحرير.

...وفعلا ذهبت بالغد باكرا وقدمت المقالات الثلاث, ورحبوا بهذه المبادرة الصادرة مني, ووضعوا المقالات بخانة ما سيتم عرضه بالعدد القادم.

رأيت مكتبي..وتحدثت وتحدث معي كل عامل بتلك الجريدة.ورحبوا بي كثيرا وسعدوا برؤيتي وببداية عملي معهم .

أي مكتب كان ...أجمل مكتب يمنح لي خلال مشواري الطويل في الصحافة والعمل...ضخم...راق...جميل.

أعجبني فوق الوصف والخيال والكلام وسعدت به فوق الوصف والخيال كذلك.فأي موظفين وزملاء..كثيرا محترمين وراقيين في التعامل...حضريين في الحوار و...أي رئيس

تحرير..أخ بالنسبة للجميع...وكعامل برتبة حارس كان يحسسني وأحسه كما مر هذا الإحساس على الجميع هناك وأخبروني به ومن إحساسي الذي مثل إحساسهم تأكدت.

ما شاهدته ..ما أحسسته فتح نفسيتي شهيتي على العمل.ووعدت نفسي قبل وعدهم بأنني سأقدم عمل مميز ونادر يليق بي وبهذه الجريدة وبأنني سأجتهد وأسهر وأبذل قصارى جهدي للمعان الجريدة, والى العلا رفعها, وبأحسن وأميز الجرائد بالجزائر ستلقب.

هذا الوعد أظهر للجريدة وما فيها بأنني عملي بالدرجة الأولى..وحتى مع نفسي الوعد منحني ثقة أكبر وأخرج إصرار كنت أتجاهله والتحدي أظهر عضلاته لي قبل غيري.

الوعد لم ينطق مني من العدم, فالمحفزات المتواجدة عندي ومعي, دفعت الكلام .وثبته بالوعد.

من لحظة صدور الوعد بدأت بالعمل به وبتطبيقه.ولم أؤجل الأمر لأن التأجيل عندي ينسيني الوعد.

للتعجيل لجأت ...الطاقة من خزانتي أخرجتها وشغلتها وأطلقها.وفي وقت قصير تمكنت من الكتابة عن مجتمع ساعدني في التكلم عليه فأوراقه كتابه مكشوف مفتوح عني لم يتم اخفائه.قرأته ومنه دونت وعالجت الذي يزعج ويخيف..يزعزع الكيان ويغيره...

..بدأت بالمحاسن لا لتخطيط أو لدخول النجاح من الباب السهل.لا..لأن ما رأيته من هذا المجتمع وهذا المكان.من هذه المدينة سوى الايجابي البعيد عن التصنع والتمثيل...الايجابي النابع الصادر من حقيقة وميزة قديمة موجودة بهذا المجتمع.الإيجاب موجود بالإنسان ومادام الإنسان يتكون من الشقين, فالمجتمع الذي هو عبارة عن مجموعة من الأفراد هؤلاء الأفراد ,الذين هم بشر فأكيد سيكون هناك شق ايجابي وسلبي...هذا ما يجرنا إليه المنطق والعقل.والمنطق والعقل عن

المجاملة أبعدني ...دون تفكير ودراسة مني, وجدت قلمي عن المحاسن والايجابي بدأ بالتدوين.

وبهذا...وهكذا بدأ الوعد يتعدى مرحلته الأولى, ونقاط البداية.

الوعد فتح أبواب اكتساح الجريدة السوق..ومن أوائل الجرائد المتداولة من قبل المجتمع وصلت.إلى الشهرة...إلى الجماهيرية ..من مواضيعها حققت أكبر مشاهدة ومبيعات.

ساهمت في إدخال أفكار ومواضيع جديدة تساعد القارئ على عرض مشاكله لإيجاد لها حل, وفتح أمامه فرصة لقول قصته.ولأخذ العبرة

كل هذه النقاط التي خلقها الوعد كانت بالنسبة إلى فرحات سلامات سوى البداية ولن تكون هناك نهاية أمام هذا التطور الذي طرأ على الجريدة.

ما وصلت إليه الجريدة ساعدني كثيرا على إعطاء الأكثر, والمزيد دون توقف وبخل...هذا كله ساعدني..ساعد كل من كان يضع بصمة ولو بالبسيطة والقليلة من تلك الانجازات.

الانشغال في تحقيق نجاح كبير طبعا ألهاني عن عائلتي, وعن زيارتي لك يا مدينتي..وحتى نفسي أهملتها وانشغلت عنها وعن متطلباتها الضرورية.فالنجاح ليس هو النهاية وإنما هو البداية.

النجاحات الأخرى تنموا تظهر..يتم خلقها من النجاح الأول.والانجاز لا يتوقف عند النجاح, وإنما هو بدايته وولادته التي لا تنتهي بمولود واحد وإنما بأولاد لا يعدون على الأصابع.

عملي صار أهم شيء يربطني في برج بوعريريج, وأكثر حاجة تأخذ وقتي.أكيد أعطي من وقتي للاتصال بعائلتي واحد واحد, والاطمئنان عليهم بين الفترة والأخرى.

أم أولادي كانت منزعجة في أحدى الليالي.كانت تبكي من كثرة اشتياقها الكبير لي, وبفعل غيابي لشهرين عنهم..لا لقرابة

ثلاثة أشهر.فكانت تود القدوم عندي والبقاء معي طوال الوقت..وأن نكون كما كنا بالزمن الماضي.وأنا كنت متأثرا جدا لكلامها...أحيت عندي الأشياء الميتة التي قتلتها بيدي لكي لا يصعب عيشي هنا.بالضعيف صرت أحس نفسي...

مدير المدرسة التي تدرس بها رقية رفض التوقيع على طلب انتقالها إلا بعد نهاية الموسم الدراسي, وكان على رقية إلا أنها تستحمل وتصبر لكل هذا الوقت فالذي أراحها كثيرا اقتراحي عليها أنها أيام العطلة الأسبوعية , تحضر الأولاد وتتقدم إلى برج بوعريريج, ونقضي معا بعض الوقت إلى أن تنتقل بشكل نهائي.

كثيرا فرحت رقية بالأحرى ارتاحت لهذه الفكرة وهذا الاقتراح الذي لم يكن له بديل أخر.وهكذا صرنا نقضي يومين من الأسبوع معا..معا كنا نتبادل الاشتياق والحرمان والحب , بمعناه التطبيقي والنظري.

كنت أصبر نفسي ...وتتصبر هي بنومنا ومعاشرتنا وجماعنا القليل, والغير كاف...مع بعضنا في أحضان مسروقة وسريعة ...فقط في هذين اليومين.

غريزتي شهوتي نشوتي التي نامت وقت...استيقظ بها الحال بقدوم رقية عندي.التصاق الجسدين والجنسين كان يريحني نفسيا قبل جسديا.

هكذا...عادت حياتي إلى طبيعة أي رجل متزوج, وله زوجة وأولاد ومتطلبات وحقوق.صحيح ليست الطبيعة بكل جوانبها...لكن بوجود الجانب القوي الروحاني الشعوري يسهل الباقي ويجلبه.

قدوم أسرتي الصغيرة عندي بأيام راحتي وراحتهم كان يزيدني .يمنحني طاقة ونشاط فوق المعتاد.كما كان يساعدهم على الصبر, وتقبل فكرة أنني بعيد عنهم..

علاقتي...علاقة أولادي وزوجتي معي ومعهم كانت جد نادرة بهذا المجتمع...معدومة في العديد من الأسر مفقودة.فعلي

وأدم أصدقاء قبل أن يكونوا أولادي وأنا أبوهم.أنا بئر أسرارهم وهم بئر أسراري.أنا مخلصهم من التفكير الكثير والمشاكل والمصاعب.وهم محاربي التعب عندي...

وفي يوم من الأيام وأنا باجتماع في مقر الجريدة, نقوم بابتكار مخطط جديد حضري يساعد على تطوير المواضيع وعمل ومجال الجريدة.كان هاتفي بمكتبي يرن عند دخولي.وبعد انتهاء الاجتماع, توجهت إلى المكتب أين وجدت هاتفي قد توقف عن الرنة.فتحته وجدت خمسة وعشرين اتصال من رقية.رؤيتي لهذا العدد من محاولات الاتصال أقلقني جدا وكثيرا..

اتصلت بها لأزيد من عشرة مكالمات لكن لا مجيب.مباشرة اتصلت بأمي وتكلمت معها.في بداية الاتصال الأم فاطمة كانت تعاتبني بقوة لعدم اتصالي اليومي , ولعدم نزولي إلى سطيف عندهم لكني استطعت أن أقنعها وترضى من طرفي وتسامحني...

بعدها سألتها هل هي ترى رقية هذه الأيام , وحتى أنني اقترحت عليها أن تذهب للإقامة معهم أم هم يقيمون عندها , وبأيام قدوم الأولاد ورقية عندي ترجيتها أن ترافقهم.

..فرحت والدتي بهذا ..بما قلت طمئنتني بأنها ستنفذه بأقرب وقت وعاجلا.

هذه الفكرة..فكرتي..اقتراحي الذي سيزيدني اطمئنان على أسرتي , ويغرب عني الخوف قليلا.

سألت أمي عن رقية بطريقة غير مباشرة , وكلامها كله كان يوحي بأنها بخير...والذي زادني زودني تأكيد أنها بخير, هو مرور رقية على أمي بالصباح الباكر قبل ذهابها إلى التدريس.

انتهت المكالمة والاستفهامات العديدة لم ترد البعد عن فكري.

..عدم كسبي للاطمئنان الكلي والكامل جعلني لم أعرف , ولم أستطع العمل وبقيت طوال الوقت متوتر, وبالذهاب والإياب الغير منقطع داخل المكتب كنت أمارس.

حركاتي لم تكن ثابتة ....أريد وصول خبر يريحني, أريد سماع كلمة إلى طبيعتي ترجعني.وطبعا في مثل هذه الحالة لم أضع الهاتف من يدي, وبالاتصال المتواصل لم أتوقف.

ماذا أفعل ؟...ليس بيدي إلا وسيلة الهاتف والاتصال وفقط.

الذي أتعبني كثيرا رجوع العجز...إحساسي بالعجز كان يميتني..ينهيني بلا سحب الروح من الجسد ورميه ...جثة بقبر هذا ما كان يحسسني ويعيشني إياه العجز.

وبالاتصال والبعد عن سماع الرنة وعن موقع الأذن ردت رقية على اتصالي..ولأكثر من ثلاثة دقائق وعشرات ألو قيلت من لسان رقية فعدم ثبوتي بمكان وكثرة الحركة لم تمكنني من سماعها, وأنا بالعودة إلى الاتصال ثانية وجدت الاتصال جاري...هناك رد...انفتح...رقية تتكلم.

وضعت الهاتف بأذني برجفة شديدة ..قلت:

أحكي لي...أخبريني أنت بخير..

رقية:

أنا بخير ..لما كل هذا الخوف؟ .

قلت:

اتصالاتك الكثيرة بي أقلقوني عليك.

رقية:

لا تقلق حبيبي أنت أنا بخير...دخلت عند الطبيب والهاتف بحقيبتي كان صامتا..فلم أرى اتصالاتك ولم أتمكن من المرور على زيارة الهاتف إلا الآن بعد أن انصرفت من العيادة.

قلت:

كيف تقولين أنك بخير وأنت كنت عند الطبيب..

رقية ما الذي تخفينه عني صارحيني...أرجوا أن تكوني صريحة.

رقية:
أنا اتصلت بك قبل أن أدخل للعيادة الطبية..كنت سأخبرك عن توقعي ألا وهو أنني حامل, بحكم أن الدورة الشهرية تأخر قدومها, وبأنني أنا منذ أيام أشعر بدوخة جديدة علي وشديدة, فأنا عشت أعراض الحمل جميعها فظننت أنني حامل, فلم أصبر واتصلت .
قلت:
أنت قلت توقعت...ظننت فهذا معناه...؟
رقية:
أجريت فحص ومن بينه فحص البول والنتيجة كانت سلبية, فليس هناك حمل.
قلت:
الحمد لله لا يوجد شيء أخر..حبيبتي لا تحزني متفقين, وموضوع الحمل أجليه إلى أن تنتقلي هنا..أود أن أكون بجانبك ونعيش معا جميع مراحل الحمل.
أحضرت كل الكلام الذي يخفف ويهون صدمة خيبة الأمل, وولادة الظن بغير المتوقع...مع كل هذا ...بعد المسافة بالهاتف لم توصل كل المقال والصادر وما أريده فزوجتي حبيبتي رقية تحتاج إلى صدر يضمها ويقول لها هناك وقت وفرص ستزورك حتما لا محالة.
أحسست بشعورها لكن اللاسلكي لم يوصل لها إحساسي بها كما ينبغي وكما هو.ومرت هذه النقطة كمرور المئات قبلها.
وكأي إنسان بأي مكان وبأي زمان مرت, وكانت تمر عليا حالات ومواقف لا بد أن توجد....جميلة وسيئة, سهلة وصعبة..
وجودي ببرج بوعريريج.ووقت حساب مدة إقامتي كان يمر بسرعة...والله هناك أوقات لم أعرف كيف مروا من حولي ومن أمامي...أكيد هناك من أحسست به.
شمول الوقت...بمجمله لم أستمتع بكل أولاده من لحظات وثواني ودقائق وساعات...

المتعة وقتها قصير..لم أعش المتعة إلا بوجود عائلتي معي بيوم الراحة الممنوح لي ولهم ولكل موظف.

لما بقي على انتقال رقية والأولاد شهرين..رجعت إلى حساب الوقت بالثواني..وحسابي كان يطيل الوقت عندي وشهرين صرت أراهم كعامين سنتين ...بعد هذا...بعد عيشي لصعوبة الانتظار, توقفت عن الحساب والى حياتي العادية عدت.

## الفصل الثالث

بليلة...وأنا جالس على جهاز الكمبيوتر أكتب المقال القادم, انقطع الكهرباء...غضبت جدا لأن العمل بقي معظمه لم يكتمل, وكان لا بد من تكملته لتسليمه بالصباح الباكر.

فتشت بكل مكان بالبيت إلى أن وجدت بخزانة المطبخ شمعتين, أشعلت واحدة والأخرى وضعتها احتياطيا جانبا.

..حملت الشمعة التي كانت تسيل منها قطرات على يدي , وبالألم أحسست..تألمت بسببهم.

وضعت الشمعة أمامي..لم أجد شيئا أفعله بتلك الظلمة الشديدة التي خنقتني إلا أنني أسترخي على الأريكة, وأنتظر قدوم الكهرباء, وان أخذني النوم فسوف يكون أحسن.

..وأنا مسترخي أفكر في أسرتي...والشوق بالداخل يحرقني ..أتوق إلى ضمهم..أندق الباب.

استغربت قلت من هذا الذي دمه ثقيل يدق بهذه الظلمة.

الطرق لم يتوقف لحظة عن ضرب الباب, وأنا أصرخ..أتكلم بصوت عال مرتفع...أقول لقد جئت مهلا قليلا.

ما كانوا ليتوقفوا...توقفوا بمجرد فتح الباب ...

فتحت الباب بيد..اليد الأخرى حاملة للشمعة.

كانت فتاة على الباب..بالابتسامة معها جعلتني أبتسم.سر ابتسامتها الشمعة التي بيدي.فهي ارتاحت لما رأت الشمعة..لأنه أكيد كما ظنت أنها ستجد شمعة لها.

طلبت مني ..بتوسل شديد أن أعطيها شمعة , بحكم أنها تخاف كثيرا من الظلمة.

لها قلت:

قبل أن أعطيك الشمعة عرفيني بنفسك, قولي لي من أنت ؟...

عليا ردت:

أقول بوعدك بأنك ستمنحني..تعطيني شمعة واحدة فقط.

رديت بقول:

أكيد ..في كلتا الحالتين ..بقولك أو عدم قولك ستأخذين معك الشمعة الوحيدة الباقية عندي.

أتذكر ..قالت:

أنا شروق أسكن بهذا البيت الذي يقابل بيتك.

قلت:

يعني اسمك شروق..اسم جميل..بكلمات ولهجة المزح قلت:

لا يمكنني أن أقول لك أنك أشرقت عليا بنورك وشروقك, فأنا بهذه الشمعة..بمعنى الشمعة ..نور الشمعة لم يظهر لي ملامحك الكل..كان البعض القليل وفقط..وختمت الكلام هذا بضحكة رقيقة بها صوت ناعم.

قالت:

ألا أعطيتني الشمعة فأنا ورائي دراسة, وسأجرب الدراسة بشمعتك إلى أن يعود الكهرباء.

أحظرت الشمعة من المطبخ, وسلمتها إلى يد شروق التي دخلت منزلهم مسرعة , وقفلت الباب بأسرع من سرعة الدخول.وأنا فعلت مثلها..قلدتها بجانب..قفلت الباب بهدوء للحفاظ على استمرار الشمعة مشتعلة...والى غرفتي...وعلى سريري كنت أنتظر الكهرباء.

كم من الوقت انتظرت ..أو الساعة كم لم أتمكن من رؤيتها من شدة الظلام.

نمت وأنا أنتظر.وراحت عليا صلاة الفجر..لم أسمع للأذان.وبحدود الساعة السادسة صباحا كنت قد استيقظت, والكهرباء لا تزال غائبة...الظلمة كانت لا تزال ساكنة معي وعندي والشمعة لم أجد لها أثر ووجود ..تم انتهاء استهلاكها وصلاحيتها.

رغم حضور البرد إلا أنني اضطررت إلى فتح النوافذ لدخول النور للبيت

...فتحت جميع نوافذ البيت وبالفعل دخل النور, والبرد معا..شعرت بالبرد..لبست معطفي وأنا داخل البيت, وبه كنت أتنقل من مكان إلى مكان.

جهزت القهوة..حضرتها وبملأ الفنجان إلى الشرفة توجهت, وبكسر رأسي يسارا شاهدت بنت ذات شعر أسود وطويل..رطب ناعم جدا, وبالبشرة البيضاء الصافية الناصعة جذبتني لمعة وجهها.

كانت هذه الفاتنة تفتح شبابيك غرفتها..

لي نظرت ..بنظراتها الحادة والساحرة قالت لي صباح الخير...

بتهيئي للرد عليها بصباح النور والجمال كانت قد دخلت..

...بقيت بالشرفة لأزيد من الوقت المعتاد عندي , ووقوفي بالشرفة تعدى وصفي الشخصي.

...كم فنجان قهوة شربت؟..لم أتذكر..لكن أكثر من سبع فناجين أتذكر..

عندما تعبت من الوقفة أحظرت كرسي, وعليه جلست بالساعات أتلفت يمين وشمال بلا توقف

لما حالتي هكذا ؟ لا أعلم لماذا...

وأنا أوجه بصري إلى الأسفل ...بدأت ألمح..صرت أرى..رأيت فتاة بشعر جد طويل تحمل بيدها كتاب وحقيبة مدرسية على ظهرها.

لحظتها...بعد رؤيتها..لا عند رؤيتها صرت أجمع المعلومات والمشاهد..

توصلت بعد التجميع أن هذه البنت...الفتاة صاحبة الشعر الطويل هي شروق التي طلبت مني الشمعة , وهي نفسها التي في يوم من الأيام سمعت صرختها.

معرفتي لأغلب ومعظم الجيران هنا...جلبني الفضول إلى معرفة العائلة مقابلتي بالسكن.

لم أكن أعرف أنني أعرف كل شيء عن هذه الفتاة شروق .

...كنت أهرب من مصارحة نفسي , ومن سؤالي لنفسي لما هذا الاهتمام؟ وماذا أريد ؟...

شيئا بداخلي كان يدفعني إلى جمع معلومات عنها.

...من الدائرة الزجاجية التي بالباب..كنت منها أنتظر أنظر..أملأ علبة بئر فضولي برؤية المشاهد...من خرج من دخل ؟..وهكذا.

كنت أقف بالساعات وأنا أقوم بدور الجاسوس....للأسف هكذا كنت ويا ليت ما كنت..

بعد عدة مشاهد اكتشفت بأن بالمنزل الذي أمامي..أفراده أب وأم وولد صغير صاحب الخمس سنوات والبنت الفاتنة شروق.

الأب مهنته أستاذ بالجامعة والأم مدرسة مثل زوجتي في الطور الأساسي المتوسط , أما هذه الجارة في الطور الثانوي, إضافة إلى مهنتهم يقدمون دروس دعم في بعض الأيام بالأسبوع, وبالتحديد في الفترة المسائية.

الطفل الصغير إياد..أخوا شروق كان يتم وضعه وتركه في الحضانة, وبعد خروج الوالدة من وظيفتها تمر لأخذه وإرجاعه معها إلى البيت,

شروق كانت تدرس في السنة الأولى بالطور الثانوي, بقي لها سنتين على البكالوريا..

شيئا فشيئا بدأت أحس وأعرف أن الذي يبدر مني لا يليق بي , وهو بالشيء السيئ والغير أخلاقي..

ابتعدت عن الباب...عن التجسس عليهم..عن انشغالي بذهابهم وإيابهم..

...بينما وأنا جالس أشاهد التلفاز جرس البيت رن...فتحت..شروق تطلب مني تحرير تعبير لها عن الأخلاق والصفات النبيلة, بمعنى ما هي الأفعال والتصرفات التي تجعلنا نقول عن الشخص أنه متخلق, وهذا يكون في شكل تعبير له مقدمة وعرض وخاتمة.

لم أرد رفض طلبها وفي نفس الوقت أردت أن أعلمها كيف تصير وتصبح متمكنة من تحرير تعبير عن أي موضوع كان, وثانيا يكون لها مشاركة في هذا التعبير.

طلبت منها الدخول وإجراء التعبير سويا...

...وافقت هي ودخلت...بجانبي جلست..

في البداية كانت لي نظرة معينة عن الفتاة...

..كنت أراها ليست ككل البنات...بعيدة نوعا ما عن التحفظ..والخجل

نظراتها كنت أقرأ منهم رغبتها في الوصول إلى شيء ما هو ..بالبداية لم أكن أعرف.

فتاة عصرية جدا من جانب تواصلها من الجنس الذكري

لم تكن عندها شيء اسمه حساسية من المواضيع.

وكذا شيء قرأته من تصرفاتها وحركاتها...لا أعرف كيف ..ما أقول عنهم..أي لقب يليق بتلك الحركات.

ما أحسسته أنها تريد التقرب مني أكثر وهو نفس الإحساس الذي كنت أحس به, وطوال الوقت كنت أبتعد لكي لا أراها, ولا يتم حضور هذا الإحساس عندي..

..جلسنا وبدأنا في تحرير التعبير والمناقشة معا في موضوع التعبير..

وأنا أنظر إليها وبالمعلومات أزودها, كانت تنظر إلي عينايا بعمق ودون رمش , وشيئا فشيئا بدأ البصر عندها يتجول ...ينتقل ببطء إلى أعضاء ..أماكن أخرى..

اتجاه نظرها بدأ يحلق حول منطقة فمي وخدودي..

...بين لحظة وأخرى بدأ البصر..الرؤية تنزل إلى الأعضاء التحتية.

ارتبكت..توترت ..بفعل نظراتها...بكلمة ركزي معي جيدا كنت أمرها بأن ترجع إلى الموضوع ومنها أهرب.

قالت:

أنا معك ومركزة جدا لا تقلق.

...وأنا أضع يدي على الكلمة وأقول لها هذا شرحها ومعناها.

...وضعت يدها ليسرى فوق يدي أتذكر...بالأول وضعتها كوضع شيء فوق شيء, وبعدها صارت بأصابعها تحتضن يدي.

لم أتمكن ...لم أستطع نزع يدها عن يدي, أو بأمرها أن تسحبها حالا, أو توجيه سؤال ما الذي تفعلينه ؟ ...

بتلك اللحظة مشاعري أبعدت عني أي انفعال يبعدها.

بعد وضع يدها بيدي بدأت تتقرب بجانبي بهدوء حتى التصقت بي...وصار كتفها يلامس كتفي.

مشاعري بالداخل كانت كالبركان, لكن بالخارج كانت جامدة ..صلبة.

...لكنها..هي انهت معي ..عندي هذا الجماد بتقبيلها لي بالأول على خدي..بقبلة لا صوت لها وجد هادئة.

فمها بخدي الأيمن أتذكر...ويدها بخدي الأيسر

بيدها الممررة على خدي مسحت الجمود بوجهي..أزاحته عني..

...صرت أحس بنعومة تعم على وجهي ويدي..

بيدها الاثنتين...كل يد بخد..قربت فمها ناحية فمي...شفتاها العطرتين الناعمتين الجذابتين...بالقبلة العميقة والطويلة كنا نتبادل...تبادلنا القبلات.

لم أستطع التفكير لحظتها...ولا تجميع أفكاري..فقدت العقل...غاب الصواب عني..سوى الخطأ والخطيئة والمعصية كانت بيننا.

المتعة معها غلبتني..وبدون شعور ومقاومة وجدت نفسي معها...بدون ثياب..تم قلعهم من قبلها...بمبادرة منها...هي مثلي..

إقبالها علي كان في موضع إقبال الرجل على المرأة

كلامها بالحركات...بالممارسة أوصلنا إلى تجانس الأجساد مع بعضهم البعض..تواصلا الاثنين.

كانت كالجاذبية...شدتني إليها..أغرقتني في سحرها...عايشتني أوقات لم أعشها..ليلة من أذق طعمها ..طعم من قبلها.

...ونحن بأحضان بعضنا البعض بدأت أكتشف اكتشاف لم أكتشفه من قبل...لم أكن أعرف به..هو أن..

"..النساء أذواق وكل ذوق وله متعته ولذته الخاصة..".

دوخة المتعة والفطرة الغريزية أدخلتني ..أخذتني إلى عالم لم أرد الخروج منه..ولو كنت بوعيي ما دخلته..

كشارب الخمر كنت...ثمل لم أعي ماذا فعلت؟ ..وماذا أفعل؟ ..

غاب عني الحضور...بمنحدرات وبيانو تضاريسها كنت أعزف أحلى النغمات الهادئة المتيمة ...التي كلها حنان ودفئ و...

الوعي لم يكن معي ولا حتى معها..

لم أرد وقتها انتهاء هذا الجو الرومانسي الشاعري..

...من أحضانها هي ..من أحضاني لم نطلق سراح بعضنا البعض..سجنتني سجنتها...اعتقلنا .

أردت أن أحكم على نفسي وعليها بالمؤبد في تلك الليلة, وعلى ذاك السرير وعلى ذلك الوضع..

..كم أمضينا مع بعض؟ ..لم أتذكر المدة ..الوقت.

وهي ترتدي ملابسها لتنصرف وتعود إلى بيتها , تركتني أنا فرحات على السرير مرمي...سعيد كنت..براحة كنت أحس.

تركتني كالرضيع الذي..كالولد الذي تم إخراجه من بطن أمه...

لحظة انصرافها ورحيلها...تقدمت نحوي وقبلتني على خدي, وقالت:

لا تنسى التعبير, في الصباح الباكر سوف أمر عليك وأخذه..ستكون بيننا تعابير أخرى

لها قلت:

بصبر..بشوق كبير سأنتظرك.

قبل أن تذهبي أردت أن أقول لك..أنت جميلة جدا وعجبتني كثيرا.

انصرفت دون أن أرى بوجهها ..عليها ملامح الخوف مخفية.

بضمير ميت خرجت ...دون خجل أو ندم كانت تنظر إلي وتفتح الباب والى بيتهم تدخل عادي.

استغربت...لم يزرني لا ندم ولا ضمير يؤنبني...لا إحساس بالغلط بالخطأ , أو بارتكابي لخيانة.

أحببت الذي حصل بيني وبين شروق...وبفارق الصبر كنت أنتظر اللقاء القادم وليلة جديدة.

فضلت..بقيت سوى أتذكر ما كنت أعيشه معها وما عشناه وما مر علينا..

تذكري هذا كان لا يجعلني أصبر عليها.

من هذه الليلة بدأ الجسد يعلمني أركان وقواعد وعلى النظام الذي أمشي عليه لعبادة الجسد وإرضاءه.

لم أحزن على أي دقيقة أو ثانية مرت عليا وأمضيتها وأنا بحضن شروق...الحضن الغير شرعي ..الحضن الممنوع.

صرت ..أصبحت أحب البقاء والجلوس بالبيت كثيرا..من أجلها...السبب لهذا كان انتظار الباب يا أنه يدق أو الجرس يرن, وشروق عليا تدخل وتعيد بسحرها ليلة عمر جديدة.

....المهم وقت فراغي جو رومانسي وبعالم المتعة نكون.

كل صباح كنت أنتظرها...لما أراها ..لما تخرج من البيت كنت أخطفها ..من يدها أشدها وأجرها إلى بيتي ..إلى المنزل أدخلها وأسرق منها قبلات ساحرة ولذيذة.

كنت أعتبر قبلاتها الصباحية..صارت بالنسبة لي جرعات نشاط لا بد من أخذها..

كنا نأخذ من وقتنا عشرة دقائق في أخذ ورد.. في تبادل القبلات.

كنت أخرج أنا قبلها وببيتي كنت أتركها...وهي كانت تأجل الانصراف إلى أن تجد فرصة, بدون أن يراها أحد...كانت تفتح الباب وتدفعه..تغلقه بعد خروجها.

كنت أعتبر علاقتنا هذه لعبة ممتازة تريح الطرفين.

لعبة متكونة من جسدين بها روح واحدة بمرورها ودخولها نفس عالم الإحساس.

رغبتنا كانت واحدة...ولا توجد أي مرة جلسنا وقلنا لما نحن هكذا والى متى؟..ولا حتى نسأل بعضنا البعض ولا حتى شروق تعرف اسمي..إلا بعد مرور وقت.

كنا نعتبر بعضنا البعض حفرة بها نفرغ حاجياتنا الجسمانية الغريزية.

كنت أراها أنها ليست ملكي لوحدي..

بدون أن أرى ..كنت أرى أنا لست الرقم الأول ولا الأخير .

البنت..الفتاة شروق هذه كانت تطرح على عقلي مليون سؤال.

كنت أبتعد دائما عن طرح هذه الأسئلة التي لا تفارق عقلي, وبالأخص عند رؤيتها وهي معي.

للأسف كنت أخاف أن أخسر شعائر عبادة الجسد وصندوق تلبية متطلبات الجسد التي تمنحني شروق إياه, هي كانت المصدر وأنا المستورد.

إن لم نكن كل يوم على سرير واحد, كنا بالقبلات واللمسات نتقرب ومعا.وحتى في الوقت التي تكون هي فيه في البيت, ولا أحد هناك سوى هي..لما كانت تتعبني وتود تعذيبي عن قصد ببعدها عني...وبعد تأكدها أنني صرت مدمن بها..

كنت أنتظر بعض الوقت..أتصل ولا ترد.أذهب دون تفكير مني إلى طرق الباب عليها..وهي تفتح وتتكلم معي.. كانت تلعب لعبة الإغراء, إن لم يكن بالحركات, يكن بكلامها أو ملابسها التي ترتديها.

دون استئذان مني واحترام حرمة منزل الجار أدخل بسرعة , وأبادر بحملها والى أي غرفة أو أي مكان بالبيت أحطها تحت أحضاني.

نعيش ونمارس الذي نريد أن نمارسه دون خوف أو حواجز.

وبعد إزاحة الرغبة الغريزية الجسدية على حمامهم هي تدخل وعلى حمامي استحم, ومرات لما لا استطيع تركها للحمام أدخل معها.

باسم قطتي كنت أناديها وأسميها..

وراء العمارة في السيارة أنتظرها, وعند باب المدرسة أضعها, وحتى كنا نخرج من نطاق بيتي وبيتهم.

..كل مرة كانت تأخذني إلى مكان بالغريب عنه فرحات.

معها كنت أكتشف أماكن تقوي وتكبر عبادي للجسد.

مرة إلى المقاهي الليلية أين مقر الأماكن الفاحشة والفاسقة, ليس نساء عاريات وفاجرات وفقط, وإنما هناك خمر ومخدرات وتدخين.

السيجارة أصبحت بأصبعي طوال الوقت, منها كنت أستهلك كثيرا.

علمتني كيفية التدخين ..الفتاة تعلم رجل صحفي رأى من الحياة الكثير والكثير...على هذا العالم انبهرت لما رأيته, ولعبادة الجسد جدا سهلت عندي.

قل كثيرا اهتمامي بعائلتي وحتى اتصالي بهم..وبالتحجج وخلق الأعذار وأسباب تجعلهم يلغون تنقلهم المعتاد بأيام الراحة بالأسبوع عندي.

أتحجج...مرة عندي عمل متراكم...مرة أنا لست ببرج بوعريريج أنا خارجها..كل مرة كذبة جديدة تبعدهم عني لأتمتع بعالمي الثاني.

لم يقل لا نشاطي ولا حماسي بالعمل...لكن إجازاتي كثرت عن الأول.

بقيت محافظ على عملي الذي لولاه لما أملك المال الذي يمكنني من تلبية حاجيات ومتطلبات وفرائض عبادتي..من تدخين وشرب خمر ودخول مقاهي ومنتزهات ومحلات تسلية ومن دفع أجرة عاملات الزنا.

علاقتي مع شروق لم تجعلني أنحصر معها وفقط, وإنما صرت أتوق ومتعطش...عطشان إلى ذوق المزيد وكل الأنواع والأذواق الموجودة بالنساء التي أقنعت نفسي بها.

بعد نهاية دوام عملي..إلى الجامعة صرت أتنقل, وأقف بالساعات.

...بالنظرات والحركات كنت أعرض على الكثيرات من البنات أن يرافقونني.

..نظرتي التي كانت كلها احترام وتقدير للمرأة تغيرت كليا, بعد أن كنت أرى النساء الذين معي بالعمل وخارج العمل..بكل مكان...كلهم على أنها أختي أو أمي ...أصبحت أراهم عبارة على جسد ووسيلة بها أطلق ما أرغب.

وبنظرتي هذه كشفت لي أوجه كانت وراء الاحترام مخفية, وبنفس الوقت بنظرتي هذه ...دفعتني إلى قول الذي لا يليق, وبفعل حركات ظلمت وأهنت وأخطأت في عنوان العديد من النسوة.

لم تنحصر معرفتي بامرأة أو اثنين..المئات منهم, من كنت أعرفهم يوم وفقط ومنهم من لفترة قد تكون أسبوع أو شهر هكذا.

فشروق هي البنت التي أخذت علاقتي معها وقت طويل بحكم أنها قريبة مني وسهلة المنال والطلب, وهي أول من دخلت حياتي بعد زوجتي رقية.

عبادتي للجسد كشفت لي عالم لم أكن أعلم بوجوده...لم أراه ولم أكن أظنه بهذا الوضع والوصف وبهذه الحقيقة.

كل الفئات والأعمار من صغير..متزوج..شيخ..مسئول..مربي..أب..وحتى الفقير.

الذي كان يقوي عبادتي هو أنني لست لوحدي..هؤلاء معي.

شجعت نفسي بأناس مستحيل يعطوا لي ولنا ولأي أحد العبرة ومنهم نصلح أنفسنا ..

بعدت عن الناس الصالحة وبصحبة الناس السيئة والشيطانية مشيت بطريقهم.

عشت بهذا العالم...ومع المعيشة كنت مرات لا أستطيع التصديق بأن هذا فعلا موجود ببلدي...ببلد دينه الإسلام.

..نساء من أجل مائتين دينار تبع نفسها و شرفها للوحوش البشرية.

متزوجة..نساء متزوجات كثيرات خرجت معهم...وبثمن لا يشتري لها وجبة غداء..ولا فطور كانت تسلم جسدها للذي لا يرحم.

ومن كانت مهنتها الزنا ويا ليت لوحدها...معها بناتها البريئات..الذين دخلوا معها أسوأ وأوسخ مهنة على وجه الأرض.

ومن تفتح بيتها للمتاجرة بأجساد بنات قاصرات تم تهريبهم من بيوت أهلهم...هذه جرائم أنا كنت واحد منها..مشارك غير أصلي.

المرأة...النساء الذين عرفتهم كانوا يرخصون أنفسهم بعرض نفسهم على الذاهب والراجع...المارة الكل..

الإغراء مفتاح دخولها عندك...على الرجل.

تراها ترتدي لباس شرعي خاص بالمحجبات المسلمات العفيفات...وراء هذا الثوب كانت تخفي أعمالها, ولو تلقي نظرة تحت هذا الثوب لا تجد سوى لحم مكسوا بقماش جد خفيف ورقيق.

ومن تلبس لباس شفاف يكشف الذي يغير نظرة وقوام وهدوء الرجل.

أمام كل هذا...بأرضهم تم غرسي وبالخروج لم أتمكن ولم أستطع.

ما دام بعدت عن إيماني وعبادتي من صلاة وفروض أخرى.

...ومن التقرب إلى الله كنت بعيد بآلاف الأمتار والكيلومترات.

...صلاتي صارت لجسد امرأة.

وأوقات صلاتي للجسد نفس أوقات صلاتي لله ...تزيد عنها بركنين.. لا أكثر.

والفجر الذي أمضيه في أحد الغرف مع أي امرأة والسيجارة والخمر و...

الظهر هو موعد خروجي من العمل لتناول وجبة الغداء.

كنت أقضيه في أخذ القبلات واللمسات وأحيانا في ممارسة الخفيف من الخفيف.

...والعصر أكون فيه أتجول من مكان إلى مكان لاصطحاب أي واحده من الذين أشتهيهم.

..والمغرب يبدأ بدخولي الأماكن التي تبدأ بها شعائر عبادتي للجسد, ويأتي معها العشاء..

قل عندي الأكل والنوم...شهيتي تمركزت للجسد...من عبادتي للجسد كنت أعوض الأكل والنوم بالممارسات الغير شرعية والخارجة عن نطاق الزواج..وبالعمل كان لعبادتي نصيب..

صاحبتي..زميلتي معي بالعمل..مكتبي لم يصر مجاله العمل فكان هناك عبادة...ممارستي لعبادة الجسد تقاسمت مع عملي بمكتبي..

قل عندي الكلام...الثرثرة..سوى الفعل غلب على اللسان, وان نطق اللسان في مواضع عبادتي كان يتفوه بما لا يليق بي ومالا يقال..بالألفاظ السوقية كان كلامي محل الفاتحة والأذكار الصباحية والمسائية..

لم أفكر في نهاية كل هذا ...والى متى سيستمر هذه العبادة؟...لم أفكر ولم أسأل نفسي حتى ثقافتي علمي...أدبي ..أخلاقي تركوني وحيدا أتخبط بين أيدي وجدران وحدود هذه العبادة .

عبادتي هذه لم تخلوا من الصيام ...نعم صمت كذا يوم..فلما لا أجد من يونسني ويشاركني في ممارسة عبادة الجسد .كنت أمتنع عن الأكل والشرب ..إلى أن أشبع عبادتي وإدماني.

فشيئا فشيئا...وبعد أن أخذت عبادة الجسد قسط كبير من وقتي ومن حياتي , ومن ضروریاتي أصبح هناك إدمان وعبادة أقسمت نفسي لإرضائهم معا وسويا, وعبادتي وإدماني لم يكن في حدود كبيرة الزنا وفقط.بل أصبح هناك كبائر وهي الزنا وشرب الخمر و...

الذي كنت أمارسه ومن كان يدفعني ليس حب..حالة الحب الروحانية لم تدخل بقعتي..فالحب كله تمركز لجسدي .

وقتها لم أجد الذي يكسبني نصيحة التي تمنحني نسيان وتجنب فضيحة.

الذين تعرفت عليهم...وبالعبادة كنا سويا , حظي معهم كان معدوم " لأن حظ النفس في نصح الناس".

الذي جعلني لا أتراجع على الذي أنا فيه...وعن هذه العبادة لا أترك وأتخلى هو وجود لثلاث جيران من عمارتي واثنين بالعمارة التي بجانبي...كانوا مثلي يتظاهرون بالصلح والأخلاق .

رؤيتي لوجه نفاقهم ..وأجبرنا على التستر لا من أجل بعضنا البعض وإنما من أجل أنفسنا والخسارة.

لم أمشي طريق مرشد مع علمي أنه خيرا لكثير من مشية طريق راشد.

لم أطلب الرضا من صاحبها " الله سبحانه وتعالى" لأن رضاه يمنحني الرضا على نفسي مدى الحياة , وغضبه عني ينبذني حتى الممات.

لا أنكر...كنت راض عن أفعالي وعن عبادتي وعما أفعله.

أنا ابن أدم لم أسعى لكسب محبة الواحد القهار, فكسبي لحبه يملكني كنزا لا يفنى مهما كانت الأقدار.

الذي كنت فيه ليس قدرا وليس نصيبا...هذه حياة أنا رسمت أرضها ولونها.

..لغيري ولحظة ارتدائي لثوب النفاق ..لأخي المسلم كنت أقول

"أطلب رضا خالق النفس يمحي عنك كل لبس".

لم أكن اضحك على غيري...على نفسي كنت أضحك فكيف انصح غيري قبل نصح نفسي.

صحيح المنافق تصدر منه أفعال وأقوال وتصرفات شيطانية , كلها خبث وخداع ومكر..تمثيل..لعب أدوار الصالحين المؤمنين.

نسيت..لا تغافلت .تظاهرت بأنني لا أعلم وليس لي دراية بأن

" رضا صاحب الرضا عنك يكسبك رضا غيرك".

لم أتذكر بأن فوزي برضا الله في الدنيا ينجيني من كرب الآخرة..

فوضعي لقواعد عبادتي بالأحرى وضع الجسد أحكام وأصول عبادته التي مشيت عليهم وطبقتهم وبالمطيع الأمين لهم كنت.أنساني في أصول وفروض العبادة الحقيقية وديني الأصلي..

...عبادة الجسد بمثابة دين كان عندي.

كنت أنسى لحظة قيامي بشعائري التي أخذت كل وقتي , وجعلت العقل جاهل لما يفيد.

...نفسي أبعدتني عن الجنة التي كنت أعيشها.ولم تقل لي استيقظ من نومتك ...من عبادتك ..من غفلتك فالعمر عندك يجري.

أعمالي وأفعالي كلها لم تكن من أجل إرضاء الله قبل الرضا وبعد الرضا وحتى يرضى ..

مشيت بهذا المسار وهذا الطريق سنين وبعدت عن مشي خطوات برضا الله التي هي خير بكثير من خطوات تحط مع غضبه.

تعديت على خطوات التي لا تعد لخطوات سطرت من صاحب تلك الخطوات...فالتعدي على خطوات يجر بمتعديها على سطور بلا خطوات ومرورها يوقعني في معاصي ومكروهات, فينبذه صاحبها مدى الحياة وناهيك على ما سيجر بعد الممات..

فهذا اختصار سيري في طريق المعاصي والسيئات.

..لم أكن سباقا لإرضاء صاحب الرضا قبل جر منبع رضاي لإرضائها دون تلقي الرضا من الأولى بالرضا..

غبي كنت...بقوة الإيمان وعدم زحزحته كنت أظن.

وإيماني هو هكذا...أظهر أني أضعف المؤمنين ولم يكن إيمان بنفسي أصلا لأنه لو كان لما سمح لي بأن أفعل كل من يبرهن بعدم وجود إيمان ودين.

إرضائي للجسد ولعبادته أخذته علاجا لداء ودواء بنداء.

صدق من قال النفس ولادة إلى السوء..فأنا نفسي إلى السوء جرتني ووضعتني , وبهذا لم أكن خير وليد ولد لضبطها قبل جرها إلى منتجات السوء.

ميزان سيئاتي أنا يا سطيف سوق به كل الأنواع

أنا كالسلعة بعت الذي يفيدني ويخلصني في الدنيا والآخرة, واشتريت الذي يلهيني بالدنيا ويخسرني بالآخرة.

لم يكن فرحات مسيرا لإرضاء الله ومخير في إرضاء غيره من خلقه وعبده ونفس..

..أؤمن وأعلم أنه خلق ابن أدم بمشيئة الواحد القهار, ويموت بإذن الواحد الغفار, وبهذه المعلومة..بها لم أفد نفسي ولم أسعى إلى إرضاء صاحب الأقدار.

...نسيت الموت وبالخلود ظننت...

..كل إنسان له خزانة...ليست الخزانة التي بها الثياب وما شابه, إنما الخزانة التي بها تخبأ الأعمال التي تقدم لنا الجنة وتبعد عنا النار..

" فتملأ خزينة الإنسان بتقديم الرضا للرحمن".

" وان أرضيت الله أرضاك".

...أنا كنت بعيد عن هذا وخزينتي فرغت من تقديم الرضا للخالق.

..فعلا ما أفضع وأبشع وأصعب في النهاية..في أنك تمد الرضا لغير صاحبها بجهد ,فجهدك ينسيك ويلهيك بمنتجات ذلك الجهد.

عبادتي عار..وأفعالي عار..أقوالي عار..تصرفاتي عار..أفكاري عار.. وليت كان العار عار عليا أنا وفقط, فهذا العار لحق بعملي وأهلي وناسي وأحبتي..بكل شيء لصيق بي..

بفعل الصلاح والحسن كانت نفسي بها جمود ميت...لم أزيحه بجعله نبتة مرئية تحبس الأنفاس وأرضي بها صاحب الأجناس..

..بعدي عن الله أنسبني العار وأكسبني الفضيحة وأفقدني كل شيء..الصحة..الأهل..المال والكرامة..الشرف والاحترام...و..

والآن بعد فوات الأوان تعلمت أن..وبالقول لنفسي

" تقرب من الله فالبعد ينسبك العار".

لم أتقدم دوما نحو الأمام..الأمام والتقدم الذي يعطيني نجاح.

ولم أتسلق سلم الأعمال بالأقدام التي تحط اقتداء بالإسلام , والقاموس فارغا من الحرام...(قاموس ذهني وفكري ومتطلباتي ورغباتي)..سعيا لإرضاء صاحب الأحكام

لم أكن كذلك..خير حريص حرص على طبق الرضا بتقديمه بلا انقطاع لمقدمة الرضا..

..طبقت مع غيري سيناريوهات أفلام ,وتطبيقها لم يغير حقيقة تفوق الكلام, مع التقيد بقواعد مسيريها حكام , وبإرضائهم كنت عالي المقام بمملكتهم ..مع إغفالي لغضب حاكم الأحكام..

..الذي يوجعني كثيرا ويجعلني ...جعلني أستحقر نفسي أنني لو جئت أنتمي لديانة غير الإسلام لما كان الضمير حطمني هكذا..

ما صدر مني لا يرضي ديني ولا ابن ديني ...لا يرضي أي كائن ببلدي الجزائر..

ما فعلته...وتلك العبادة لم يمليها عليا لا قانون..لا دين..لا عادات وتقاليد ولا ماضي..

لو كنت محافظ فعلا على الكيان والجو والقواعد والأنظمة التي ولدت وعشت وتربيت فيها..بها وعليها, لما رضخت لهذا الحاضر ولما صرت عبدا للعالم السلبي...ولما وقعت في شباك مؤامرته وما استمر بيا الحال والعبادة ..بالزيادة تزداد

علاقاتي الكثيرة الجنسية اللاشرعية لم تتعبني ..وكنت أبحث عن المزيد .

هذه العلاقات أنستني بالمفروض وبمسؤولياتي اتجاه أمي وزوجتي وأولادي ...أولادي الذين تركتهم بسطيف عندك يا مدينتي.

...وحتى رجوع والدي من فرنسا إلى الجزائر لم يكن لي وقت أن أذهب وأزوره بعد طول غياب.أديت واجبي معه سوى بالهاتف..بالاتصال مرة بالأسبوع أو بالأسبوعين..

هم كانوا يتصلون بي بدون توقف, لكن انشغالي المتواصل والغير منقطع بعبادة الجسد كان ينهي بيا بعدم الرد, والى غلقه في غالب الأحيان..

وبعد رؤيتي للاتصالات لم أكن أعود للاتصال ولا حتى الاعتذار .

هذا الوضع وبعدي الكبير بحجج لم يتم تصديقها ..وبعد نقص الإقناع عندي معهم واقتناعهم هم..دفع برقية إلى المجيء عندي هي والأولاد فجأة..

كانت تود أن تجعلها مفاجئة لي وتفرحني.لم تكن تعرف أن هذه المفاجئة تعطيل لمصالحي اليومية.وقتها عاملتها ببرودة وبكل طرق الاقناع الغير مباشرة للعودة الى سطيف والالتفات الى عملها والأولاد كنت أطردها وهي لا تستوعب.

..في يوم من الأيام وأنا بسيارتي جالس بمقابل الجامعة أنتظر جنس لطيف جديد...رن هاتفي ..كانت رقية المتصلة..اتصلت لأزيد من ثلاث مرات.لأول مرة أخجل منذ فترة ...ضغطت على زر الرد...كنت أكلمها ببرودة واستعجال,

وبأني منشغل وليس معي وقت, أما هي كانت بلهفة وبنغمات الشوق والاشتياق والحنين كانت تكلمني .

لم أكن مركز معها وحتى لم أحس بها..نعم الهاتف بأذني أما بصري وتركيزي كانوا متوجهين سوى مع البنات الطالبات الخارجين من مقاعد الدراسة ..من البوابة الجامعية الكبيرة..

الذي أرجع...الذي جعلني مع رقية أوجه تركيزي عندما قالت بأنها هي حاليا وتكلمني من محطة المسافرين بسطيف, وأنها تركب حافلة برج بوعريريج.

هذا الكلام..هذا الخبر أزعجني وكثيرا أيضا..

طلبت مني رقية أن أنتظرها هي وأدم وعلي بمحطة نقل المسافرين ببرج بوعريريج , لأصطحبهم معي إلى البيت لأنها لا تعرف اتجاه البيت.

ردي عليها كان...حسنا ستجدونني أنتظركم.

رقية وضعتني أمام الأمر الواقع..ولم تفتح لي مجال بأن أتهرب منهم هذه المرة بعد تهربي ألاف المرات

...أول شيء جاء بذهني بعد إنهاء المكالمة مع رقية التوجه مباشرة إلى البيت لتنظيفه , بحكم أنني أحيانا ...وعندما أجد فرصة مناسبة ومتاحة أصطحب معي إلى البيت نساء لنكون براحتنا أكثر , ومساحة عبادتي تكون أكبر..

...وكذلك زيارة شروق الدائمة عندي تركت مهمتي ألا وهي التقاط قطة جديدة لتسعدني بذلك الوقت أمضيه بالبيت لوحدي.

انصرفت ..اتجهت إلى المنزل جد منزعج وغاضب, وبقيادتي السريعة وصلت في وقت قصير.

دخلت وبغرفة النوم بدأت بترتيبها ورمي قارورات الخمر التي كانت موجودة بكل زاوية , وإطفاء نور الشموع الموزعة بكل مكان...تم إزالة البقايا الدالة..الدلائل الدالة على الخيانة.

..وبأوراق العمل بهم ...وزعتهم وفرشت المنزل لكي يؤكد لها المظهر أنني منغرق سوى في العمل..في الداخل والخارج..

وبينما وأنا أنظف بعجلة كبيرة لألحق بامرأتي في الموعد المحدد, ولا أتأخر عليهم...وبالانتظار الكثير أجنبهم...

أندق الباب...فتحت...إذ بشروق دخلت مباشرة..وقتها كان لي كذا يوم في حدود الخمسة الأيام لم نجلس مع بعضنا البعض, ولم يكن هناك لقاء إلا كنت أراها من بعيد, أو أكلمها ونتواصل عن طريق الهاتف.

دخلت..ومباشرة إلى غرفة النوم سارت واتجهت, وأنا كالملهوف ..المجنون لحقتها وأقفلت الباب علينا..

وصلت رقية والأولاد إلى برج بوعريريج, وبالمحطة كانوا ينتظرونني ...وبالاتصال الكثير كاد الهاتف ينفجر وهو بالسيارة..نسيته عندما صعدت إلى البيت مسرعا, وبانشغالي بعبادتي للجسد مع شروق نسيت كل شيء..الذي أمامي والذي ورائي..واجباتي...مسؤولياتي..حقوق الغير عندي ..الكل نسيته.

..عند انتهائي من شعائر العبادة التي أخذت وقت مني..عدت للتنظيف مرة أخرى وقبلها استحمامي..

وأنا جالس على الأريكة وبيدي صحن لحم محمر اشتريته وأنا راجع..وعلى التلفاز بدأت المشاهدة والتقليب في قائمة القنوات الطويلة التي تعديت نصف القائمة..تذكرت رقية والأولاد.

..وضعت الصحن وبسرعة نزلت..حملت الهاتف وبها اتصلت لكن هاتف رقية كان خارج مجال التغطية.

حمدا بالمساء تقل حركة المرور ولا يكون هناك ازدحام, وهذا ساعدني بأن أصل بسرعة..وأي سرعة بعد تأخير فاق الخمس ساعات ففوق..

دخلت المحطة أبحث عنهم.. من بين العشرات من الرجال كانت رقية ضمنهم لوحدها , وجد خائفة كانت..

أنا وصلت عندهم عندما أغربت الشمس ومحلها حل الظلام..

ركبوا السيارة معي وهم غاضبين, ورقية بالبكاء لم تتوقف, وتحججي بهذه المرة كان..كنت مشغول في اجتماع لم أستطع الخروج منه ولا الاعتذار عن حضوره لما له من أهمية وضرورة لوجودي به..

دموع رقية لم أتأثر بها مثل قبل..من قبل عندما كنت أرى دموعها التي لم تكن تنزل كثيرا, لأني كنت أعمل جاهدا بأن أخفيهم وعلى الابتسامة فقط كنت أبقيها..

عند رؤيتي لدموعها أجن...لا أعرف كيف أكل ولا أنام ولا أذهب إلى العمل أو أي مكان..أو أن أفعل أي شيء سوى بأحضاني و... كنت أواسيها وأوقف قطرات الدمع عندها.أما هذه المرة لم أهتم لحالتها ولبكائها وكأن شخص غريب لا يهمني جالس أمامي أو غير موجود أصلا..

بكذبة من هنا وبكذبة من هناك تمكنت..استطعت من إرجاع الثلاثة إلى الحالة العادية..لحظتها..ليس لأي شيء إلا من أجل أن لا يتم اكتشاف أمري وحياتي الثانية الجديدة المخفية عنهم..

نهضت رقية رغم تعبها لتجهيز العشاء...زن هاتفي إذ بصديقي على طاولة ومجلس القمار جالس ويتصل بي ولي يقول أين أنت لقد تأخرت عن موعدنا...فإدماني للقمار أوقفني من الكرسي , وانصرفت من البيت بعد تمثيل دور أنني قلق على صديقي الذي تعرض إلى حادث بالسيارة, وبأنه هو بالمستشفى وأخوه أعلمني باتصاله...فأعذروني لا بد أن أذهب عنده حالا.ورقية المرأة الطيبة تعاطفت مع كذبتي وبالدعاء لصديقي المريض الخيالي بخشوع تدعي ومن الأعماق..هي كسبت حسنة وأنا سيئة..

ذهبت إلى الملهى الليلي وصرفت كل أموالي...أي راتبي الذي سحبته من البريد منذ ساعات...فجهد شهر أخذته ليلة..في لعب القمار والتسلية مع النساء وشرب الخمر..

وهكذا قضيت الليلة كلها خارج البيت مع ترك الزوجة والأولاد وحدهم..الذين هربوا من وحدتهم القاتلة, وقدموا إلي وجدوا نفس الوحدة وأشد..

عجبا أحيانا نهرب من وحدتنا..لا دوما..فندخل ونقع في الأصعب منها , حتى يوم الجمعة ..اليوم المبارك ..لم يستطع هذا اليوم أن يجعلني أهدى وأتوقف عن الذي أنا فيه ولو ليوم واحد..والبعد عن عبادتي..التقليل منها..وعن إدماني الذي كل دقيقة يزيد ويكبر ويفقدني الصبر..

عدت بهذا اليوم..يوم الجمعة على الساعة الحادية عشر صباحا كنت قد فتحت الباب.

..وجدت رقية بالمطبخ والأولاد على التلفاز.

استقبلتني رقية بردها الذي يوحي ويؤكد لي عن خوفها الشديد عليا..

طمأنتها بقولي كنت طوال الليل بجانب صديقي بغرفة العلاج..فحالتي لم تكن توحي بغير ذلك فالتعب سيطر علي واحتلني.

..فاستحمامي قبل دخولي للبيت وتفطني من السكرة محا أثار الليلة البعيدة عن أجواء المستشفى..

دخلت مباشرة إلى غرفتي وأكملت نومي الناقص..

..استيقظت على مناداة رقية .."الأكل جاهز"..

كنت جائعا جدا...أكلنا سويا..ليس كجمعتنا المعتادة على مائدة الأكل..في شيء متغير ومفقود وغير موجود..ناقص..

أكيد لمحت الزوجة وعلي وأدم وجود تغيير واضح بيننا..

لكن كنت أري بعينهم العذر الدائم وتقدير الظروف, و محاولة تحسين وإبعاد الشيء الذي جعل بيننا حدود وحواجز.

تناولنا الغداء..ارتدت رقية ملابسها هي والأولاد وقالت:

الآن نذهب لأداة صلاة الجمعة..

أخذتهم...اتجهت رقية إلى مصلى النساء وأنا وأولادي إلى مصلى الرجال.

عند دخولي أحسست بضيق داخلي..وبأني لن أتمكن من أداء الصلاة كما يلزم.فالذي دفعني بالإحساس بهذا عبادتي للجسد من ناحية, ومن ناحية أخرى اتصال شروق بي..ما فعلته أنني فضلت كلامي ..تحدثي مع شروق عن الصلاة.

أمرت الأولاد بالتوجه إلى الصف الأول , وبإخبارهم بأنني سأكون بالصفوف الورائية ..ورائهم..

..بهدوء وبدون أن ينتبهون علي انصرفت وغادرت المسجد, وكأن أحدا سرق أو يسرق شيئا مع الهدوء الذي لا يلفت الانتباه والأنظار هربت.

غيرت موقع سيارتي التي كانت مركونة أمام المسجد, ببعيد عليها قليلا وضعتها وبداخلها كنت أتكلم وأعيش مشاعر وأحاسيس بوسيلة اللاسلكي..والى أن خرج الناس من المسجد..

..فكل من كان يسألني بأنني لم أصلي كنت أرد عليهلا من غير الممكن ..صليت والحمد لله ولكن كنت بالصفوف الأخيرة, فكنت أول الخارجين هذا وفقط..ونفس الكلام قلته لأولادي وزوجتي..

..حتى الكذب وصل بي ولحقني عند الصلاة وعند الأشياء التي لا يستطيع أحد الكذب فيها..

لكن الكاذب يتمكن..وله أن يكذب بأي شيء وهذا ما كان حالي..كاذب..كذاب محترف كنت.

بعدها أوصلتهم إلى البيت...وبعد توسلات عديدة ومتواصلة طوال الطريق بأن تقضي الأمسية مع بعض في التجول والاستجمام..معا نذهب ونكون..وبما أن الكذب عندي لا يتوقف ..كذبت ..بقول عندي موعد مع صديقي وبالقسم أكدت أنني مشغول...وعدتهم بأنني لن أتأخر ونذهب إلى أين تودون وتريدون..ومثل المساء الفارط بالضبط كررت نفس التصرف ونفس التأخير كان.

هاتفي ككل مرة إما أن أتركه بالسيارة أو عند دخول مقر عبادتي أقفله أو أضعه صامت لكي لا يزعجني أحد عن تأدية العبادة كما أمكن وألزم..

لم ألبي ...لم أحترم رغبة وإصرار أسرتي على تمضية وقت معتبر معا..هذا حقهم وواجب علي..

من أجلي هم جاءوا ..لكن..كانوا يظنون أنني مشتاق إليهم كما هم مشتاقون إلي..وأن رد فعل هذا الاشتياق هو نفس ردة فعلهم وتوقعهم بأني لن أفارقهم لحظة واحد.وأستغل..نستغل كل ما للوقت من لحظات وثواني ودقائق وساعات لصالحهم..و معا بهذا الوقت لا نفترق..

.....لم أخجل من نفسي حتى أخجل .من حولي.....

فكرت سوى بنفسي...بالأناني من الرأس إلى القدم كنت ...أناني بالباطن والظاهر أظهرت هذه الأنانية التي بأفعالي..بالتصرفات كانت تثبت للكل أنني أناني جدا وفعلا..وكثيرا..

....عبادتي للجسد أظهرت أنانيتي الخالصة....

الدليل ...دليل أنانيتي..أني أصبحت أفكر في نفسي وفقط..وأعمل ما يحلوا لي دون أن أقدر وأفكر وأخاف عن الذي معي..

زوجتي رقية كانت معي تضحي وللأسف أنا خنتها ..خانتها عبادتي للجسد وإدماني على الحياة التي كنت فيها...خانتني وأرت لي الأقرباء والبعيدين بمرآة معاكسة..مرآة ليست بالحقيقة ونتيجتها خاطئة وخيالية..

مرآة تعمل لصالح قناعاتي وأفكاري وظنوني ورغباتي وقراراتي ..عن كل واحد..

..في حدود الساعة الثامنة والنصف صباحا رجعت ..عدت إلى البيت..قبل فتحه بالمفتاح ضغطت على زر الجرس كثيرا..لم أجد أحدا بالبيت..لم أتضايق..لم أهتم..لم أبالي وحتى

أني استصعبت الأمر..بالاتصال بهم ومعرفة أين هم بالتعب والكسل شعرت..تراجعت...

بعبادتي للجسد للتعب لا يشكوا أبدا ولا لأي مرة..من أجلها ..لعبادتي جاهدت ضحيت بالأهم.. وعاشرت السهر سنينا..أحببته وأنا لا أطيقه.

وعلى كلمة السهر..عند رجوعي ..النوم خدرني وبأخر النهار من السرير نهضت مباشرة إلى المطبخ..أين وجدت ناحية خشبة السكاكين ..وجدت رسالة كتبت بقلم ..بيد رقية التي كان حبر الأسطر..أحرف من الكلمات حبرها تعدى حجم الحرف..حبر خف سائلة بفعل الدموع الممطرة كالمطر من عيون المضحية والصبورة , وبنت الأصل..الزوجة الصالحة الغالية المحترمة...

لم أرد...تهربت من التعمق لحظتها بما كتب وبما حملته الرسالة لكي لا أتأثر وأضعف أمام الكلمات المميتة للجمود الذي كنت فيه والمرافق والقاتل للشعور والإحساس وللعاطفة عندي...للصلابة الذي سكنني.

...لم أعرف لما أنا مهمل وغير مسئول لهذه الدرجة..

لما قلمي ومقالاتي تنصح وتوجه ؟ ...ونفسي في الهاوية وعلى الحافة ...عند الخطر مرمية..

كنت كالمجرم الذي لا فائدة من إلقاء درس حفظة مئات المرات..

صبر محبوبتي رقية علامته ومصدره الحب الصادق الوفي ..الحب الحقيقي..

حبي ..حبها لي في الأخير لم يقدم لها سوى الدمار والمعاناة و...

نعم كنت مسافر في عالم عبادتي للجسد وبهذا العالم أقمت..لكن طوال الوقت أنا مشتاق لعالمي الأول الذي لم أعد أعرف كيف أرجعه...للعالم العادي...للحياة السابقة.

.....راض بعبادتي كنت ...وغير راض كنت ....

الاشتياق أمام باب حياتي الهادئة النقية الصافية يوقفني, والجسد وإدمانه للواحقه كان عن الباب يبعدني والى تكملة العبادة يضعني...وبالإكمال كنت راضخ ومستسلم..مستسلم ..ضعيف ..صاحب قوة على المواصلة..

لم أجد الذي يفوقني..يوقفني عما أنا فيه...لا بشر ..لا شيء..

" فكل مسافر مشتاق وان طال به الغياب ".

هكذا أنا....الآن....من قبل....سأظل مشتاق...

استسلامي لعبادة الجسد لم يكن نوع من أنواع الاعتذار , ولا باب من أبواب الاعتراف..

استسلامي كان علامة من علامات الغفلة والخطأ والغرق في الحرام..

عبادة الجسد أخذت مني المال..صلح النفس...أخلاق...أدب...كل فائدة وإفادة وصلح...

ليس هنا توقفت ...أخذت ما أكثر من ذلك..

قصتي ...حكايتي...نتائج عبادتي لم تتوقف هنا...

فأسطر وصفحات كتاب حياتي وعبادتي للجسد لم تنتهي بعد...

## " الفصل الرابع "

جاء اليوم الذي اجتمعنا فيه كلنا مع بعض..وببيت برج بوعريريج عدنا إلى أسرة واحدة مثل الأول..

فرح كثيرا الأولاد بإقامتهم بهذه المدينة وكذلك أمهم.

تزامن رحيلهم مع العطلة الصيفية أينما أنهى الأولاد موسمهم الدراسي..ورقية أنهت تدريسها بتلك السنة وتم كذلك الإمضاء على طلب نقلها..

فرحتهم برحيلهم الدائم عندي لا أستطيع وصفه بأي أسلوب أو شبيه, أو تحديد قياسه..لأني لم أكن أبادرهم بهذه

الفرحة..وطبعا كنت أتظاهر أمامهم بأنني سعيد بقدومهم لكن بداخلي كان العكس تمام.

اليوم الذي تم فيه نقل حاجياتهم الضرورية من سطيف إلى ولاية برج بوعريريج كنت بعيد عنهم ولم أقم بمسؤوليتي معهم..

...أجرت رقية شاحنة نقل التي بها نقلت أشياء كثيرة , من فراش وحاجيات الأولاد..نقلتهم بجهدها وجهد الأولاد ومساعدة الجيران...لم أكن معهم وقتها..وحتى عند وصولهم وقفوا الجيران الذين هنا وساعدوها كذلك في النقل من الشاحنة إلى الطابق الثالث وأنا في كلتا الحالتين غير موجود ...بلعب القمار كنت أربح وأخسر..فصمتي المستمر والدائم كان الرد على تساؤلات الغير لي وعلى القيام بمسؤولياتي وواجباتي..

غضبت رقية كثيرا عن إهمالي المتواصل وبأسئلة كثيرة واجهتني..

..كانت تقوم بالكثير الكل تقريبا من مسؤولياتي وواجباتي...

توقفت أنا عن النفقة عنها وعن الولدين وهي تحملت هذه النفقة..

هروبي في الدخول معها في حوار جاد كنت لا أجعلهم يروني بالنهار, سوى في أوقات متأخرة من الليل..أين كنت أجدهم غالبا نائمين..

عيشهم معي لم يجعلني أتوقف وأبتعد..أتخلى عن عبادتي للجسد التي صرت مدمن بها ومن المستحيل الانسحاب والترك بسهولة وبعجلة..بسرعة..

تصرفاتي وهروبي الدائم كان إجابة واضحة لكل تساؤلات رقية التي ما كان عليها في تلك الأوضاع سوى التحمل والتضحية , والعمل جاهدا إلى إرجاع الكيان الأسري والزوجي الذي كنا نحسد عليه ..

...أحيانا كانت رقية لا تقوى على الوضع الذي يسوء كل ثانية..

كنت أرى فيها ذلك...من النساء الحديديات كانت..

امرأة حديدية بكل ما تحمله الكلمة من أسرار وجواهر وخبايا..

هي امرأة أصيلة إيه والله ,,كانت من راتبها تلبي مصاريف وحاجيات البيت والأولاد وهي, وحتى أنا كنت اخذ قسط ..جزء من راتبها وأجرها..

جيبي فارغ..لم أعرف مواطن وزوايا وأماكن النفع التي أضع بها مالي..

راتبي كله للقمار كان يصرف ويذهب..يقسم بين تدخين وشرب خمر وعمل الزنا..

كان لا يمر أسبوع...لا يمر يومين على راتبي بعد استلامه..

لا دنانير..لا دينار واحد يكسبه الجيب.ففي هذه الحالة أعود إلى الدين والى أخذ المال من رقية التي كانت تمنحني الذي أطلبه بعد دخولي في دور المسكين المحتاج الذي لم يستلم راتبه لكذا شهر, بسبب عطل في إدارة الجريدة التي هي تعاني من عجز مالي..وحتى غالبا كنت ألعب القمار بالدين..وأسكر وأتسلى في الملاهي و...وهذا كله كان مقابل توقيعي على وصلات أمانة وشيكات ..

جعلت زوجتي المطيعة بأن تفعل...تمنحني توكيل يمكنني من استلام راتبها الشهري نيابة عنها , وهذا بعد إثبات وتبيان لها أنني غاضب ومستاء لأنها هي متكلفة بالمصاريف الكل...وبخداعي وكذبي الذي وصل إلى المشاعر والأحاسيس أقنعتها جعلتها ترضيني وتلجأ إلى جعلي أنا من أستلم راتبها لا غير , لكي لا أشعر بأنني فقدت رجولتي واعتباري معهم ..وبأني عاهة عليهم..وبهذا أصبح لي راتبين ...راتبي وراتبها..

راتبها الذي كان يذهب كله...سوى في تسديد الدين الذي على عاتقي.

وفي اليوم الذي كنت أخذ فيه راتبها..أتصل بها وأخبرها بأن هناك تأخير في منح الأجور..

إلى وضع مزري وصعب وصلنا.وصلت.أوصلتهم ولو لا أمي التي كانت تضع بيد رقية مبلغ مالي, لكنا متنا من الجوع والاحتياج..

وطبعا مهما كان الكذب عمره طويل إلا ويأتي يوم وينكشف كل شيء.

الاكتشاف الأول:

لما اتصلت رقية بأحد صديقاتها وعلمت منها أن الأجور لم يصر تأخير بهم, فهي تستلمه كالعادة ولإثبات رقية لكلام صديقتها...للتأكد إلى مكتب البريد الذي سلمها ورقة فيها جميع الشهور والمرات التي تم فيها استلام راتبها عن طريق التوكيل الممنوح لي..

صدمة رقية بفرحات كادت تقتلها...تنهيها..

استقبلتني عند رجوعي ليلا..بنظرات خيبة أمل وبأني ..أنا يصدر مني كل هذا..لماذا ؟ من أجل ماذا؟..

....الدمعة كانت تسبق اللسان...

إلى غرفتنا دخلنا لكي لا يسمعنا الأولاد...مسكتني بقوة من كتفي الاثنين وهي تصرخ بوجهي..

..أول مرة أرى رقية صاحبة العقل عصبية وليست بعقلها..

واجهتني...بالدليل حاربت كذبي.

كنت صامت هادئ رغم الصراخ والضجيج الذي هي فيه والخارج منها.صمتي وهدوئي هذا سببه هو أنني كنت في فترة...في مرحلة...في حالة تفكير للخروج من تلك الثغرة,وبضغطها عليا المستمر بأن أتكلم وأشرح لها ما الذي يحصل؟ ما الذي دفعني إلى الكذب ؟ ..

مسكتها من يدها وعلى حافة السرير أجلستها, لكن غضبها الثائر وحركتها المشوشة حاربت أسلوبي الهادئ معها.
بالصراخ في وجهها هي أيضا..لها قلت بصوت عال:
ما بك ؟ ..لا تنسي بأني أنا رجل هذا البيت وأنت امرأة
لو تعرفي الذي دفعني إلى الكذب..لكنت بكيت خجلا من تصرفاتك هذه معي.. وعن ردة فعلك السيئة.
كذبي كان من أجلكم..نعم من أجلكم ومن أجل إسعادكم..
قالت رقية باستغراب وتشويق لعلم ومعرفة ما يوجد:
كيف من أجلنا آه ...تكلم هيا ..بسرعة.
لها قلت :
صديقي..زميلي في الجريدة عنده منزل على شط البحر, ولأنه جد محتاج يريد بيع هذا البيت, وأنا مباشرة فكرت بكم.ما علينا ذهبت ورأيت المنزل ..جد جميل هو وسعره معقول.دون تردد مني قلت:
أنا أشتريه منك لكن تسديد ثمن البيع ..مبلغه سيكون بالتقسيط وهو وافق.
...ذهبنا وأتممنا إجراءات البيع..
نويت...خططت...رتبت...قلت وقتها بيني وبين نفسي...وعدت فرحات أنه عندما أنتهي من تسديد ثمنه أخذكم إلى هناك وأريكم المفاجئة.
المفاجئة التي من أحرقتها وطيرتها وأنت الآن تهاجميني بسببها و...
بعدها..لكن السيد الذي اشتريت منه البيت أصبح يريد ماله مني كاملا بأقرب وقت.
شرحت له صعوبة طلبه..لأني لا أملك المبلغ..وليس بإمكاني تسليمه دفعة واحدة.
تناقشنا..وصلنا إلى ..فرض عليا أن نقلص من مدة التسديد بالتقسيط الذي هو كل أخر شهر..كل شهر أسدد.

صرت ملزم على دفع مبلغ شهرين بشهر..مبلغ شهر بخمسة عشر يوم..بنصف شهر.

لم يكن أمامي إلا أن أسدد من راتبي وراتبك.

لم أرد إخبارك...أجلت ذلك إلى أن أرجع لك جميع رواتبك التي أخذتها, وبدفعة واحدة أرجعهم إليك دون أن تشعري بذلك.والآن سأجيب عن سؤالك المتمثل لماذا تتأخر كل يوم في الرجعة إلى البيت...

سبب عودتي بأخر الله وحتى بالصباح..بفجر يوم جديد.فأنا أعمل عمل إضافي فوق عملي بالجريدة وهذا لكي أتمكن من التسديد بأقرب وقت , ونلحق بالأيام الأخيرة لموسم الصيف بالسفر والإقامة ببيتنا الجديد , وتمضية الوقت الصيفي في البحر والتسلية والاستجمام.

بعد سماع الطيبة لكل هذا التأليف...مؤلفاتي التي نجحت بسردها...صدقتهم ..أمنت بهم بعد قولها لأكثر من ألف كلمة آسفة... وقبلات ..توسلات بأن أنسى الذي بدر منها.

بعد كل هذه الأكاذيب...أكاذيبي...بتأنيب الضمير كانت رقية تتصارع مع ضميرها..بقي أمامي لحظتها إلا أن أخذ بالحنونة وفي حضني تنام..وهذا ليس خوفي عليها.وانما لتنسى الموضوع كله وتقفله بمفتاح لا يفتح ثانية..

نجحت..فعلا ..تمكنت من أن أنسيها ..وهكذا صرت أخذ الراتب دون أن تسألني ماذا فعلت به ؟ وعادت بعض الشيء بيننا وفي وقت قصير إلى عادتها وقللت من أسئلتها الكثيرة..

بدأت أنا أمر بفترات صعبة عندما منعوني الجماعة التي ألعب معهم القمار اللعب ثانية, إلا أن أسدد ولو الجزء القليل من الديون...أو إحضار المال للعب ..فوقفوني عن اللعب بالدين.ووقتها كان لا بد لي من تحصيل المال وجلبه, ولم يكن أمامي أحد سوى رقية أشكي وأبكي لها بتنزيل قطرتي دمع..

رجعت إلى البيت...عملت نفسي بأنني في ورطة كبيرة ومصيبة لم أجد لها حل ولا مخرج.بالتلميحات وامتناعي

ورفضي للأكل , ودخولي غرفتي وغلق الباب عليا أوصلت فكرة أن فرحات منزعج إلى ذهن رقية...رقية التي لحقت بي وهي تعاند ومصرة إلا أن تفهم ما صابني ولما أنا هكذا..

حضر الكذب عندي بعد هذا السؤال...بكذبة جديدة أخبرتها بأن الرجل الذي حكيت لها عنه من قبل, الذي اشتريت من عنده المنزل الذي على شط البحر, قد جاء وهددني بأن إن لم أدفع المبلغ المتبقي في صباح الغد سيقدمني إلى العدالة برفعه دعوى ضدي, وبأنه سيتم سجني..

تمكنت من البكاء الذي أظهرت سببه ألا وهو كيف أترككم لوحدكم, وبأنني سأخسر مهنتي عند دخولي للسجن.ورقية دون تفكير ..وبعد سماعها لكذبي لم تتحمل انهياري وانهيار أسرتي.إلى الخزانة اتجهت..فتحت الصندوق..حملته وأمامي وضعته وقالت لي:

خذ صندوق ذهبي ..وأنت خذ الذي يلزمك وتحتاجه لتسدد ديونك.

حظر الطمع عندي لحظتها وبدأت أقول من غير الممكن أن ألمس ذهبك ومجوهراتك وصيغتك التي ليس لي حق فيها وهي بأمري بأن أخذهم لم تتوقف...

وضعت يدي بقلب الصندوق وعلى الحزام الذهبي كانت يدي

...حملته رقية لهذا الحزام.وبمنديل..في قطعة قماش وضعته

وقالت لي:

خذه ..لك أن تبيعه وبثمنه تسدد دينك , فهذا الحزام الذهبي ذهبه قديم...فلو بعته لن يمنحك البائع ثمنه الحقيقي لكن ثمنه غالي جدا..

فهل دينك أنت كبير؟...

نطقت بسرعة ..نعم كبير وممكن أنني ألجأ إلى بيع السيارة..

ردي هذا ...كانت هذه صيغتي في الرد لكي لا تطلب مني أن أرجع لها الباقي.

لم أصبر ...لم أنتظر حتى الصباح..

رقية:

أين ذاهب الآن, فالمحلات أكيد مغلقة فأترك الأمر للصباح الباكر إن شاء الله..اذهب وبعه وبعدها اذهب وادفع لذي الحق حقه المتبقي والكامل..

حظرت إلى لساني بسرعة خدعة جديدة..تأليف لم أتعب فيه

..لا هناك شارع مخصص للذين يشترون ويبيعون الذهب, وهؤلاء المحلات لا تغلق إلا لوقت متأخر ولساعات الأولى من الصباح فاقتنعت وبالمعارضة لم تبادر ولم تتطرق...

حملت أنا المنديل الذي به الحزام الذهبي والى مقر القمار ذهبت..

مقابل قبولي للرجوع إلى اللعب سلمت لهم الحزام الذهبي الذي أبهر الحاضرين وقتها..

لما رؤوا مني الغباء وسهولة النصب عليا يتسرب مني قبلوا رجوعي إلى الانضمام إليهم ..وأكون من ضمن جلساتهم وهذا لمدة أربعة أيام فقط..

ردوا على غبائي بأن الحزام الذهبي لن يحضر لهم المال الكافي..

...بهذا الحزام لم أسدد ديوني وإنما كان وسيلة وسبب للسماح لي باللعب ثانية على طاولة القمار الراقية..وكأني قدمت لهم هدية أو رشوة.

..أنا المال عندي كان يجهل مواطن استغلاله وطرق سيره..

زارتني الهداية ولم أرحب بها وبابي عليها لم أفتحه.

" كل فرصة تمر بصاحبها بدون استغلال منه حتما ستتبع بالندم عند الحاجة ".

وهذا ما حدث معي ...مرت على طريقي فرص لا تعد..كنت أنظر إليهم بأنني لا حاجة لي بهم واليهم ولما احتجت لم أجدهم ..وعدم وجودهم أوصلني إلى ندم شديد وقاتل ومدمر ومحطم..

لكل شيء حرام وسيء استسلمت..لم أستسلم للفرص..الفروض..الهداية ولا لأبواب التوبة التي دعتني وفتحت لي بأوقات كان بها العقل معي واع ومدرك و...

هل تعلمي يا سطيف بأن كثرة الاستسلام بين الحين والأخر تنجب نفسا ضعيفة بالخبر...

أنا ضعفي فضحني ..أراني للكل بالثوب الذي تسترت وراءه ولبسته لأعوام..بالأخير ضعفي لعبادتي وإدماني كشفني .

قتلت بقلبي...بداخلي الإيمان الذي ...أنا متأكد لو كان موجود لما مررني على كل مجالس السوء وعلى الكبائر لما سمح لي بفعلهم ..

فالإيمان الذي لم يوجد معي بهذه الحياة البشعة...هو بالأول لم يكن معي..لأن الإخلاص مع ديني لم يكن..

"..فلا دين بلا إيمان ولا عمل بلا تبيان ..".

أنا مجرم...فرحات سلامات يا سطيف مجرم...مع نفسه مجرم...مع غيره مجرم..

لإجرامي هذا لم أقدم بدلة ...ثوب لا إيمان ولا توبة ولا توقف ..لا استغفار وترك..ففقدت حياتي

لا أتذكر إن كنت أحمد الله قبل الشدة ..عند الشدة..بعد الشدة...أتذكر أن الحمد في عبادة الجسد لا اسم له..مولود مات وهو بهذا العالم..بهذه العبادة ..فيها لم يولد..

مساوئ البشر..أي إنسان شاهدها قلة الإيمان.أما أنا فانعدام الإيمان...

شهود مساوئي جسدي وتقديسي له...طاولة القمار...قارورة الخمر...سرير الزنا والخيانة...متعة

الحرام...يدي التي لمست..لساني بأه اللذة نطق...رجلي التي إلى أماكن ومجالس وبقعة الحرام مشت...والعرق الذي سال تعب جهادا في عبادة الجسد...كذبي و....

كل هؤلاء شهود على أفعالي وأعمالي...آه ...يا ليت ..لو يرجع بيا الزمن إلى الوراء ..وقتها ساعتها لما...

فرحات جدار إيمانه ومبادئه وأخلاقه أنهدم بسهولة.لو كنت قوي ووجودهم كان ما يشبه شيء موضوع لما هدمت وتهدم بناءهم ..قواعدهم وأسسهم..

ثوبي من البداية لم يكن فيه نقاء القلب وصفاء الروح.فأنا من الأول .من القديم كان لي ميول إلى عبادة الجسد...منعوني أشياء كثيرة منها أنتي يا سطيف ...أنتي يا مدينتي...

ميولي هذا نمى وظهر عندما كانت وفاء ..بنت خالتي هي ..أكبر مني بسنين...كبيرة..في عمر ..في السنبلة خمسة وعشرون..وأنا في حدود الثالثة ..الرابعة عشر من عمري..

...وفاء كانت ...كنت وسيلة لها لإفراغ غريزتها..

معي كانت تمارس الجنس...ولسان الأمر أطبق كذا وكذا..

هذا لما كانت..قبل زواجها وحتى بعد زواجها..

ظهرت عندي الرغبة في ممارسة الجنس مبكرا جدا.لكن الذي أوقفني حكم أبي ومراقبته لي طوال الوقت...يأخذني معه إلى الصلاة ..خروجي ودخولي للبيت يكون بالحساب ودقة في الزمن.حبي للعلم والمعرفة والنجاح والوصول إلى مركز جيد ألهاني..

زواجي بإنسانة صالحة..متخلقة ومتدينة بها شغلني وأنساني..أبعدني عن جميع مساوئ الكون والعالم..

..دخول شروق إلى حياتي في الفترة التي كنت فيها محتاج إلى قريب..والخروج من الوحدة وجدت شروق وقتها بالشكل الذي حرصت دائما أن لا أقع فيه.

شروق أوقعتني ..أحيت فيا السكون ..الجماد المدفون..

لم يكن لي سلاح أحارب به وقتها...استيقاظ رغبة عبادة وتقديس الجسد التي استيقاظها كان انطلاق من جميع النواحي والجهات..

..لو كان انطلاق بطيء..ممكن تمكنت وكنت قد استطعت توقيف البركان الغريزي الذي بدأ يتسرب نحو محيطي ..يقال " سلاح المؤمن إيمانه ورصاصته جرعة دواء لداء الغافل ".

الإيمان إلى عالمي جلبته لينسيني الماضي...لم أضعه..لم أستعمله سلاح لمواجهة الحاضر وخصوصا القادم من المستقبل..

فمن يقول الغافل فهو يقول فرحات الحزين الذي وصلته بطاقة دعوة من المؤمن الفرحان..

أنا عشت الإيمان الذي كثرته تنتج أزهار بعطر الريحان.تركت هذه الأزهار...رميتهم بسبق ظن مني أن أزهار عبادة الجسد تنتج لي بستان وبساتين حتى..

خانني ظني ...خانتني قراءتي الغيبية والتخيلات التي رؤيتها قبل الوقوع

أناقتي التي تبهر الأبصار وتلفت المارين حولي ...أناقتي كان جوهرها..كان منبعها..كان مصدرها الأخلاق والبساطة والتواضع و...الذين كنت أظهر بهم .يظهر عندي بلباس هو إيماني وعبادتي الصحيحة..

تغييري للعبادة غير أناقتي..غير مظهري الباطني..غير كل شيء طاهر وجميل كان يروه الناس في فرحات

لم أجعل الإيمان المكنون بداخلي كتاب مفتوح صفحاته دروس تقدم لعبادتي هذه..

الإيمان موقعه عندي لم يكن بالقلب..على الحافة ..على السطح كان مقيم..عن العمق أبعدته...بعيدا كان ولم أبادر بإدخاله لبئر يكون الخروج والانسحاب منه مستحيل وصعب..هذا البئر نفسي وأولادها...

سلم الإيمان عندي لم يتعدى الدرجة الأولى, فعدم وصوله للقمة ...لقمة السلم.فهذا رد على سؤالي بأن الإيمان هل كان له مقياس ..؟ فمادام ليس له مقياس عندي فهو غير موجود..

أين هو لكي أقيسه وأزنه..أين ..أين أمام هذه الفوضى التي أعيشها..

إيماني يا مدينتي..أنا أعتبر بأنه سوى كان زائر..وأي زائر..زائر خفيف..بأول فرصة...ضعفت ..ظهر هذا الضعف وقضى على ضيافة الإيمان وأنهى زيارته.بأول ضعف وقعت فيه رحل الإيمان عني..

...كنت محتاج..الآن أنا محتاج إلى إيمان يمنحني القوة, ويأخذ بيدي إلى موطن النجاة والتخلص..

أريد غسل نفسي..لم أعد أتحمل نفسي هذه التي إلى التهلكة أوصلتني..

الإيمان بجسدي..بعقلي..بقلبي..بروحي..ميت, مات..موته ترك بجسدي جثة مسكنها الآثام وقبرها غفلة طول الأعوام..

الخير عني رحل..الشر حل محله, بنفس مكانه وبالتعدي على أماكن أخرى مجاورة, وغير مجاورة ..بعيدة.الشر استولى على بقعة الخير.وفي الساحة بقي سوى هو دون منافس قوي..

أخر شيء كنت أتوقعه..مستبعده كليا كنت أن أكون أنا والشر سويا بهذه الحياة وبهذه الدنيا...

لم يؤثر على عبادتي للجسد لا غضب الرب وقدرته, ولا الوالدين, ولا دعوة المظلوم.. ولم يقف في وجه عبادتي الأب..الأم..الأولاد..الزوجة..القريب..البعيد..القانون..و..

حبي للوطن لم يتم توظيفه من طرفي كسلاح قتل عبادة الجسد...

...غياب الانجازات..المنتجات..العمل والتحدي وتعليم الأولاد..هذا الغياب أمات حبي للوطن أمام الجسد.

..تلك العبادة..عبادتي..جسدي كان كافرا وعدوا لي..لو كان..لو كنت املك إيمان وطنه الروح وشعبه القلب وموجده

الدين والتقرب من الله, ما كان لقرب الكافر مني يغير من بقعة إيماني وعبادتي..

اهتميت بمكان قطون الجسد ولم أهتم ..ولم أقنع جسدي ..عن أماكن الدمار بالقوة أرجعته من الحفاظ على ثبات الإيمان بالقلب والنفس والجسم كله..وخلقه في كل نقاط وتفاصيل حياتي ..

...آلة أعمالي توقفت ..تعطلت عن جني الرصيد الذي يشتري لي بيت في الجنة..وهذا عندما جعلت عداد عبادة الجسد يشتغل على الدوام..

أنتي يا سطيف تعرفي وأنا أعرف والذي عندك ..والذي خارجك بأن

" ابتلاء المخلوق وسيلة اختبار الخالق لإيمانه ".

الذي مر..مررت عليه..الذي عشته..عبادتي لم تكن ابتلاء..لأن الابتلاء يدخلنا..يعيشنا أحداث..أيام ..قصص ليست من تأليفنا نحن..الذي بالأعلى هو الذي يصنعها وبوسطها يضعنا.

عبادتي وقيامي لشعائر وفرائض وأركان عبادة الجسد أديت..قمت بهم بإرادتي ...تعمد الجسد وإليهم دفعني..

وبما أن عمر المتعة قصير إلا أن مادام جاء من غفلة, فالغفلة أعوامها طويلة..والروح استيقاظها ..تفطنها يكون..رجوعها عن الحرام والشر والفساد..يكون نهاية وفقدان ما قبل وما أنتجه هذا الحرام و...

...ومن هذا فلصفحات كتابي البقية...

بدأت أجعل..جعلت استفهام أمنيات ما هي إلا جواب وتحقيق لتلك الأمنيات..ظننت أن رقية نست المنزل الذي أوهمتها بأنني اشتريته, وأمام الواقع وضعتني عندما طلبت وعبرت عن رغبتها هي وعلي وأدم رؤيته, ولا بد أن أخذها هي والأولاد إليه لقضاء العطلة أو أيام هناك..

ماذا أفعل..؟...ماذا أفعل وقتها..وجدت نفسي في حيرة كبيرة ولم أتمكن من الهروب مرة أخرى..

قضيت كذا يوم أبحث عن حل وعن مخرج من المصيبة التي أوقعت نفسي فيها..جأت إلى معارفي في كل مكان إلى أن وقف ..توقف بي البحث عند رجل تعرفت عليه في مجلس القمار ...أين طلب مني أن أجد له فتاة جميلة وبالجنس..بالزنا محترفة ومتمكنة..وأنا خدمته ولبيت طلبه مقابل إعطاءه لي مفتاح شقته التي بمدينة جيجل وتطل على البحر مباشرة..

أخذت أسرتي إلى هذه الشقة التي استعملها ..وضبها صاحبها لممارسة شعائر عبادته مع النسوة..

ذهبنا...فرحوا كثيرا الأولاد وأمهم , وتلك الفرحة كادت تجعلهم بالسماء كالعصافير ..مع الطيور يطيرون بدون أجنحة..

سرنا..بالسيارة انطلقنا وكنا من منطقة إلى منطقة نتوقف لقضاء بعض الحاجيات أو للشراء وغير ذلك..

أنا حاجتي كانت أخذ عشر دقائق للاتصال بحبيباتي ..مساعداتي في العبادة..

..كان عندي هاتفين , فعندما سلكت مسار عبادة الجسد استعملتهم , بعد أن كنت أملك واحد فقط..

تم..اكتشفت رقية أمر امتلاكي لهاتفين وذلك عن طريق.نزل فرحات من السيارة بحجة أنه سوف يشتري شيء للأولاد يأكلونه والماء معه, وكان قد ترك فرحات هاتفه الثاني الذي تعرف أسرته خطه..رقمه..

...رن الهاتف ..نظرت رقية ناحية وقوفي أمام المحل إذ بها ترى أني أحمل هاتف..يدي تحتضن جوال..حملت الهاتف الذي بالسيارة وبمجرد ركوبي السيارة..إلى وجهي قربت الهاتف وقالت وهي منزعجة:

لمن هذا الهاتف..؟..الواضح أنه لك وبحوزتك اثنين.فلماذا لم تخبرني بذلك ؟..ولما لم تعطيني رقمه ؟..لا لشيء وإنما في

حالة لم أجدك بالأول أجدك بالثاني..ومن هذه أمنية التي كانت تتصل ؟..

أريد إجابة لكل هذه الأسئلة وبصدق أرجوك..

كالعادة..وهذه المرة لجأت..طرقت باب الكذب..أحضرته..استعنت به..الكذب كان يقدم لي ثغرات التخلص بسرعة دون تعب في التفكير وبلسان متمكن..لا يخطأ في السرد ..الشجاعة ..الجرأة كان يمنحني..

إجابتي على تساؤلاتها كانت:

بابتسامة ورياحه ودون ارتباك لها..نطقت فقلت:

آه...أنا نسيت أخبرك لأنه لم يكن هناك فرصة جاءت ودفعتني إلى إخبارك بأن لي خطين هاتفين..

الهاتف الأول هو هاتفي القديم كما تعلمين..أما الهاتف الثاني فبالجريدة هناك شركة اتصال منحت لكل العاملين بالجريدة هاتف مجانا ومعه خط ورصيد ومكالمات مجانية ولفترة محدودة كهدية لنا..أخذت الهاتف وصرت أستعمله...خصصته للزملاء بالعمل والعمل وفقط.هذا كل ما في الأمر ..أما عن المتصلة أمنية فهي تكون مساعدتي وكاتبتي في الجريدة, فعملها كله معي وأكيد هي اتصلت لتسألني أو تخبرني عن شيء بخصوص العمل بالجريدة.فلا تقلقي حبيبتي وكوني بعيدة أرجوك عن الشك والتفكير بالسيئ والغير موجود

وبهذا الرد استطعت...تمكنت للمرة المائة أن أهرب حقيقتي التي تدمر..وخداعي بالكلام..وبإعطاء حوادث وحقائق لم تمر عليا..

رجعت رقية إلى تركيزها بالرحلة بعد أن انتهى الشك والاستفسار من طرفها على خير .

على الموسيقى الهادئة الجميلة أكملنا السير وكنا نسير وسرنا..وفي ساعات الأمس الأولى وصلنا إلى الشقة..إلى المنزل المتواجد والمرافق..رفيق ..جار البحر..

نعم..أمضينا تلك الأمسية والليلة ..أروع الأمسيات والليالي كانت.

فالروعة والجمال كله كان بجلوسنا في نقطة الفصل بين البحر والشط..

استمتعوا بأول يوم كثيرا..أما أنا فكنت أحس نفسي بأني مربوط ومسجون..لم أتمكن من القيام ولو بركن واحد بسيط وسهل من عبادتي للجسد..

أين أفرغ إدماني؟ ..إدماني الذي كان يتشاجر معي أنا الكل..وبباطني في معركة بينهم.وحتى الهاتف أقفلته, خارج مجال التغطية كان لكي لا تزورني مكالمات تنهض الشك عند رقية بعد تنويمه وبالأسئلة تتعبني..

...الضغط الذي لم يمنحني الصبر كان لا بد أن يفرغ بأي شيء..بالسيجارة بالعلبة بكاملها فجرته..وحتى هذه الحركة ..تدخيني كان خفية وبعيد عن أنظار أسرتي الذين لم يتعودوا على رؤيتي أدخن..فأنا أصلا لا أدخن وأنا عندك يا سطيف..

المفاجئات لم ترد الغياب عن رقية..شمت رائحة الدخان..دخان السيجارة..اتبعت مكان خروج الدخان..عليا دخلت...انصدمت وهي تراني...رأت السيجارة بفمي وأنا أتعاطاها ليس بالشيء الخفيف, بالنفس والاستنشاق العميق كنت وكانت معي السيجارة..الدهشة والاستغراب عند زوجتي توقف عند الرؤية وفقط..عندها كان لا من تحريك اللسان وبالسؤال ..

كل ما كنت أقوله ويدور بيننا...ما كان يصدر مني بعيد كل البعد عن الصدق والحقيقة..وعن أمر التدخين رميت اللوم على ضغوطات ومشاكل العمل بالجريدة التي دفعتني إلى تفريغ تلك الضغوطات التي أمر بها في فترات متقاربة بالسيجارة وعن طريق تدخينها واستهلاكها..

ألهيتها بشيء أخر لكي تنسى..حاولت بقوة وشدة لكن محاضراتها لم تنتهي إلا بعد أيام...وأهم درس وشق بهذه المحاضرة هو أخذها وعد مني ألا وهو."...أني لن أدخن أمام

الأولاد, وأن لا أجعلهم يروني أدخن وبوضعية السيجارة بيدي إطلاقا..والأحسن أن أنظف نفسي بأي طريقة تخلصني من رائحة الدخان بعد تدخيني لكي لا يشموا الرائحة بي ويكتشفوا أمري..وبالتقليد أكيد سوف يبادرون ويتجهون..".

هذا كان أول وعد..الثاني..الوعد الثاني أن أحاول وأبدأ في توقيفه تدريجيا..

أمام هذه الوعود...ولكي تأخذ رقية أمر..وضع تدخيني بأكثر بساطة وبالعادي يصير عندها, قبلت بالوعود ووعدت..وعدتها بتنفيذهم الحين..

ركن العبادة..ممارسة الجنس...من كثرة..من عدم صبري وتحملي مع زوجتي تواصلنا..تم التواصل الجنسي بيننا.هذا التواصل وضح وكشف لها كذلك عن تغير..عن وجود أشياء لم تتعود عليها ولم تراها من قبل فرحات, وكل جديد وتغير لاحظته جمعتهم في كلمة " صرت محترف" ..والسؤال هذه المرة لم يختفي وأخذت منه النصيب..

من أين اكتسبت هذا الاحتراف الذي كنت تفتقده ..؟

ظلت تردد هذا السؤال إلى أن تكلمت بقول:

من مشاهدتي ..لكن صدقيني والله كانت بالصدفة..

مشاهدة الرجل عند النساء أهون من الممارسة الفعلية والحقيقية , مع أن المشاهدة قلة أدب وأخلاق وزنا إلا أن أمام الحالتين تفضل المشاهدة عن الممارسة..ناسين أن المشاهدة تجر إلى الممارسة مع الوقت..ويصبح الأمرين أمر واحد ..

عندهم..لدى النساء المشاهدة فيها غفران وسماح أما الممارسة فلا..ففيه عقاب بكل..بجميع أنواع ومستويات الحساب وبدون رحمة وشفقة..

كنت أعلم أن عقابي كبير..وأن ذنبي وعبادتي للجسد ليس فيها سماح وعفو ومع ذلك بقيت مواصل ومستمر ...

في صباح اليوم الثاني لم نستيقظ باكرا..منبه استيقاظنا كان رن هاتف رقية ..صوته جد مرتفع كان.المتصل بها

كان...كانت أسماء مساعدتي في الجريدة التي اتصلت على هاتفي كثيرا..لكنها وجدته مغلق ..لم تصل لي فاتصلت برقم زوجتي التي وضعته أنا مرة على مكتبي, وكما أنني وصيتها بأنه عندما يحدث معي شيء سيء ولا تتمكن من الوصول الي على الرقم الذي بالورقة الصغيرة التي فوق مكتبي, به تتصل..

سلمت لي رقية هاتفها...كلمت أسماء..أعلمتني أنني ملزم ولا بد لي من السفر بهذا اليوم إلى الجزائر العاصمة , لأنه في حدود الساعة الرابعة مساء هناك اجتماع لرؤساء ونواب رؤساء التحرير..

خبر الاجتماع جاءني متأخر بسبب إقفالي للهاتف.ولم يكن أمامي سوى أني انطلق في الحين إلى العاصمة واللحاق بالاجتماع في موعده..

وماذا عن أسرتي..؟..لا أستطيع تركهم بالشقة لوحدهم..

..أعلمتهم بالخبر الذي أوصلته لي أسماء..رغم غضبهم وبكاء علي وأدم إلا أنهم..لم يكن بيدهم شيء يعملونه سوى أنهم يحملون حقائبهم والى المحطة يتوجهون, والى برج بوعريريج يعودون..

أوصلتهم أنا إلى المحطة وبعدها حددت وجهتي مباشرة إلى الطريق السريع المؤدي إلى العاصمة..

لم تكن أول مرة فيها أسافر وأخرج من حدودك أنت يا سطيف وحدود ونطاق برج بوعريريج.فخاصة بعد سلكي لمسار عبادة الجسد كنت أتنقل كثيرا وذهبت إلى كذا ولاية من ربوع الجزائر الكبيرة..هدفي كان..تنقلي وزيارتي إلى تلك المدن مرة من اجل عمل ومرات عديدة والأغلب من أجل توسيع نطاق عبادتي والمد من طول وعرض أركانها وفروضها..

رافقتني شروق مرات..وغيرها من الفتيات والبنات..

سفري كان بعيد عن الذهاب والتمتع بالمناطق والمناظر المعروفة بالسياحة والاستجمام وقبلة الزائرين المشهورة بها أي ولاية..

مناطقي كانت محددة..بيوت دعارة ومحلات تسلية ودكاكين من خمر وقمار...أماكن عبادتي عنوانها الفسق والمحرمات.وان زرت المناطق الخلابة المخصصة لاكتشاف المكان واستغلاله لأخذ قسط راحة للنفس منه..استغلالي كان إرضاء الجسد وما يطلبه..وما تطلبه مني غريزته..

...اكتشافي كان لا للأماكن والمناطق والمناظر, كان مركز على حريم تلك المدينة وأخذهم لهذه الأماكن وغيرها للذوق وكشف الطعم..

لم أرد ..لم أستطع حصر عبادتي للجسد في منطقة وفقط وذلك ...لكي لا يكتشف الناس أمري..فأردت البعد عن الجيران والمعارف والعمل..عن كل مكان وكل واحد يعرف فرحات سلامات...

إلى العاصمة وصلت..وقبل موعد الاجتماع بنصف ساعة ..في مقر الجريدة..رئاستها..موقعها الرئيسي..جلست بقاعدة الاجتماع مع بعض الزملاء والزميلات في المهنة ننتظر اكتمال الحضور وقدوم رئيس الجريدة

وقت الانتظار أخذهن الصحفيات الجميلات اللواتي كانوا جالسين معي في الحديث النسوي وأنا لم أسحب عيني عنهن وقتها وحتى هن حسوا وانتبهوا لنظراتي الحادة..التي تدل على طلب شيء..

نظراتي هذه كان لها رد لأول مره..

نطقت إحداهن وقالت لي...سألتني..

أنت متزوج...بنعم رديت...

قالت:

أنا متزوجة والتي أمامي متزوجة والأخرى غير متزوجة لكنها محترمة ومتخلقة ومثقفة وهي بعيدة, ولن ترضى بأن شيء يقلل من قيمتها وأمام الكل يظهرها برخص معدنها..

بعد سماعي...ما شاء الله...الله يحفظكن ..واضح...أعلم قلت:

كلام هذه المرأة وجهت قصدا لي بأنهن ليس كما أنا أراهم وأظنهم..هن لسن مثل الذي عرفتهم وأعرفهم.

كلامهما كان سهم تمنيت لم أنه قتلني بدلا أنه جرحني..

...نبهتني ...من نكن...وكيف نكن..

كلماتها رسالة لي بأن أحافظ على مركزي الذي أنا فيه, وأن أظهر أمام الكل بهذه القيمة والمكانة مع نفسي قبل غيري...وبأن النساء لسن الكل مثل بعض فهناك نساء ملك رجال وهناك من ليسوا طعم سهل وشرفهم هو كنزهم وحياتهم كلها..

وبما أنني صحفي أكتب وأحارب الفساد وفيروسات المجتمع..فالمفروض لا أكن هكذا...لكن ماذا أفعل ؟ ...أين المفر. ؟ ..لم يفهم أحد ولن يفهم أحد ولا حتى أنت يا سطيف بأن الجسد ملكني...الشيطان ابنه جعلني..كتفني ..أجلسني وعن الوقوف في وجه عبادة الجسد والشيطان والشر والحرام والسوء, ليس بالشيء السهل الممتنع الذي نتمكن التخلص منهم دون صعوبات وخصوصا بعد ما أصبحت واحد منهم ومن عبيدهم ...فهم لن يتركونني مهما بوجههم وقفت..

أنا حاولت ..وكثيرا..لكنني بقيت معهم وعندهم..

مر عليا الاجتماع صعب وطويل المدة لأنني كنت أنتظر الخروج بأقرب وقت وبفارغ الصبر..كان صعب...ولم أستطع رفع رأسي بوجه الزميلات الذين كانوا باستغراب وخيبة أمل لي كانوا ينظرون..

رغم الملل الذي كان يحمله الاجتماع إلا أنه حمل معه مفاجئة وهذه المفاجئة كانت لي ولعدد من الجالسين على مقاعد وحول طاولة الاجتماع..

المفاجئة كانت في إعلان رئيس الجريدة.مديرها بالعاصمة يحمل معه قرار التعيين والترقية..فقد تم ترقيتي من نائب رئيس تحرير إلى رئيس التحرير بفرع الجريدة..أي مدينة لم يتم التحديد..فما فهمته وقتها ووصلني أنني لن أستمر بالعمل في برج بوعريريج ولن أكون رئيس التحرير بالفرع المتواجد بها...

قرار الترقية هذا أعلن عنه المدير كما أن تنفيذه سيكون عند حلول السنة الجديدة...أي بعد خمسة أشهر...بشهر ديسمبر يحدد مكان التعيين..تعييني..

بسرعة مر الوقت وأمضيت..أقمت قرابة..ما فاق الأربع سنوات ببرج بوعريريج, دون شعور..كأنهم أربع ساعات مروا..أربع خمس أيام..

طبعا فرحت بهذا القرار كثيرا بعد أن أخذت مني هذه الجريدة سنين اجتهاد وعمل وسهر أثمرت بهذا القرار...قرار الترقية..

بهذه الفرحة ذهب فكري مباشرة إلى أنه لا بد من قضاء ليلة جميلة , والاحتفال أكيد بهذا القرار طبعا ضمن مجال عبادة الجسد...

...وأنا بأحد المطاعم بالعاصمة أتناول وجبة الغداء المتأخرة التي كانت بموعد العشاء في حدود الساعة السابعة مساءا...

دخلت على باب المطعم الذي كانت جالسة أمامه امرأة في قمة الأناقة..وطبعا لم أجعل هذه الأناقة والأنيقة تفوتني..عبرت عن إعجابي لها بالإشارة إليها بأنها بإمكانها الجلوس معي على نفس الطاولة وتشاركني في الطعام.وهي دون تردد قبلت

وناحيتي تقدمت وجلست تحدثنا قليلا ونحن نأكل...وبعدها مباشرة خرجنا مع بعضنا البعض أين ركبت معي السيارة..

أخبرتها إن كان بإمكانها أن ترافقني الليلة ومعا نقضي السهرة ونستمتع...قبلت هي ولكن ليس بتلك الليلة لأنها كان لها موعد مع رجل أخر..لكنها ساعدتني بعد إلحاح مني أن تجد لي من يحل محلها بهذه الليلة , وهي لم تبخل علي..فكل شيء كان بثمنه ..

..يمين ..إلى اليسار ..أدخل من هنا..أخرج من هذا الطريق..هكذا إلى أن أوصلتني إلى بيت كان على حدود العاصمة خارجها...ضواحيها..

أدخلتني إلى ذلك البيت التي كانت تعرف صاحبته..البيت كان ممتلئ بالرجال والنساء ..من كل الأعمار كانوا..أغلبيتهم قاصرات..أين أحضرت لي صاحبة البيت فتاة في عمر السابعة عشر من نفس عمر شروق كانت..

..لم أتردد ولم أعارض وقتها على سنها..بل اعتبرت الطلب الذي لم أطلبه كله تلبى..والى المضمون فقط ركزت..

ملامح وجه هذه الفتاة كان يظهر لي ولغيري أنها صغيرة..ونفس الملامح تظهر بها شروق..

شدتني إليها هذه الفتاة ..بعد أن وضعتها في نفس كفة شروق وقرأت مسبقا بأنها أكيد ستمتعني بهذه الليلة وتؤدي معي واجب وفرض العبادة على أصوله , وبنفس المتعة التي دائما تدخلني فيها شروق..لكن هذه القراءة المسبقة لم تكتمل..لم ألحق..المتعة وهي في بداياتها ومقدمتها انفتح باب الغرفة علينا ..أين دخلت الشرطة ومن فوق الفتاة سحبوني , وبالغطاء لفوا وغطوا جسدي والى شاحنة الأمن تم وضعي أنا وكل من كان بالبيت..الكل لم يمنع منا أحد..

لم يسمحوا لنا بارتداء ملابسنا...كل واحد كان بيده يحمل ثيابه واليد الأخرى يمسك الغطاء ألقماشي من اجل أن لا ينفلت منه وتكشف أعضاءه وعورته للكل...

وأنا بسيارة الأمن جالس ومن حولي الذين مثلي...رن هاتفي وأنا أحاول بيد واحدة إخراجه صرخ عليا الشرطي وأمرني بإقفاله حالا..

حملت الهاتف ..إذ برقية هي المتصلة..

...سحب الشرطي مني الهاتف وأغفله..فأنا كنت قد اتصلت برقية عندما خرجت من الاجتماع وأسعدتها معي..وعن الترقية أخبرتها..وأني بالغد سأكون معهم أعلمتها...

..بهذه اللحظات وأنا بهذه الوضع بدأت أندم على إقبالي لهذا البيت الدعاري..خوفي كله كان عن وجود الصحافة..لكني محظوظ هذه المرة ..لم يكن هناك صحافة..

خجلان كثيرا كنت...لأول مرة أشعر بالخجل لهذا الحجم...فالغطاء المتخصص للفراش الذي كان يكسوا جسدي العريان هو الذي زاد حجم خجلي , وبه دخلت إلى غرفة التحقيق التي فيها نكرت بأنني كنت أمارس الزنا والفعل المخل بالحياء..وبأنني أنا صحفي ولمهمة صحفية كنت ببيت الدعارة..

أكيد كلام مثل هذا لم يقنع المحقق الذي كان معي يحقق, وهذا لأنني وجدت بالبيت متلبس, وحالة التلبس هذه تثبت التهمة علي..

..بعد التحقيق سمحوا لنا بارتداء ملابسها أنا والرجال الذين كانوا معي بالحبس الاحتياطي الذي وضعنا فيه إلى أن يتم اتخاذ الاجراءات المتبقية.

وأنا بالحبس بدأ الخوف يظهر عندي .وعقلي عن التفكير بحل لم يتوقف وتعب..

...بقيت على توتري وخوفي من الأتي لمدة أربعة أيام..وباليوم الخامس ..في أوله منحوا ..أعطوني الحق في الاتصال والاستعانة بمحامي ومن هذا القبيل..مباشرة اتصلت بمدير جريدة الفصول الأربعة التي أعمل في فرع من فروعها وشرحت له وضعي, وبأني ذهبت هناك من أجل مهمة

صحفية..وهو ساعدني بمعارفه ووساطته تمكن من إخراجي من الحبس وسقوط التهمة عني..

مساعدة مدير الجريدة لم تكن لوجه الله ومعروف من أجلي وإنما للمحافظة على اسم وسمعة الجريدة..

..أمضيت يوما كاملا وأنا أقنع المدير بأن الذي حصل معي بذلك البيت سوء تفاهم وهكذا..إلا أن اتخاذه لقرار سحب الترقية مني بقي على حاله ..لم أستطع تغييره..

باليوم الذي خرجت فيه من الحبس والورطة التي وقعت فيها ..يومها لم أستطع الاتصال بأحد وبالخصوص أسرتي..والى جانب ذلك كان الهاتف شحنه نفذ ..مع توقعي وتأكدي بأن رقية اتصلت بي كثيرا وأنها هي الآن جد قلقة علي وبالها مشغول ومع ذلك فضلت أن أبقى لوحدي ...كنت محتاج أن أكون بجلسة هادئة مع النفس..

أمضيت ثلاثة أيام ..فوق الأربعة أيام...أسبوع وأنا بعيد ولا أحد يعلم عني شيء ولا أنا أعلم عن أهلي شيء...بالهارب كنت..من نفسي هارب..من الواقع هربت..هارب من كل الناس..

بهذه الأيام الثلاثة ..رغم تعبي وضيقتي ..لم أفكر..لم أبادر ...لم أتوجه إلى التقرب من الله..إلى أن أشكوا إلى الرب ..تركت هذا الطريق والى سماع الموسيقى ..إلى دعوات عبادتي للجسد استجبت وركزت وطبقت..

بهذه الأيام..احتضن..رحب القبر بمقيم جديد بأرضه ومسكنه..هذا المقيم كان أبي عبد السلام سلامات..

في اليوم الموالي...باليوم الرابع ..بالصباح الساعة السابعة أقلعت من العاصمة باتجاهي إلى برج بوعريريج..

عند وصولي إلى البيت لم أجد أحد به..لا رقية ولا الأولاد...بهم اتصلت..خبر وفاة والدي..مر على جنازته سبعة أيام...أخر واحد سمع ووصله الخبر كنت أنا..لم يكن أبي مريض...بالمسجد توفي..وهو ساجد لقط أنفاسه الأخيرة...ما

أجمل نهايته..بهذه النهاية أنا اشتهيت وتمنيت..لكن كيف تكون النهاية هكذا وأنا لي كذا سنوات لم أدخل المسجد ولم أؤدي فرض الصلاة..

..عبادتي للجسد لم تتح لي وقت للصلاة..وان صليت فالصفاء ليس موجود..

...لا لا أنا الذي لم أمنح لنفسي فرصة أن أصلي ...كل شي ..الذي لصالحي ...فات الأوان...قبل فوات الأوان أقفلت الأبواب..

نسيت أنه هناك موت..أن هناك نهاية..أن هناك عقاب...

نسيت أني إنسان لست بأبدي ولن أعيش مدى الأزلي..العمر كله.والحياة كلها بجميع مراحلها وعصورها وأزمانها...

في الموقف..في الوقت الذي أؤدي فيه واجبي الحقيقي مع والدي للأسف لم أكن.فالقريب ..البعيد..الجار..الصاحب..الكل مشوا في مراسيم جنازته إلا ابنه الوحيد فرحات الذي هو لا يزال متواجد بالحياة وعلى قيدها..وبغيابي بأهم وقت ويوم...من هذا لم أستطع دخولك يا سطيف..فمادام لم أكن باللحظات الأولى ..فماذا أفعل الآن..

اعتبرني الكل أنني متوفى..ميت وأنا مازلت حي أرزق..

...أنا لا ألوم أحد على اعتباره هذا , فمهما قالوا ومهما يقولوا فهو بالقليل عليا..فجزائي أكبر بكثير من الكلام..

أمي غضبت عليا جدا..كانت كثيرا محتاجة لي..

بكائي يا مدينتي..يا سطيف ليس بدموع شفافة وإنما دم وألام وأهات ولحم يتقطع لم يشفيهم الوقت..ويا ليت الموت يشفي فان أنهاني وخلصني من الدنيا فبالآخرة يضمن لي حسابين..

مع سماعي لوفاة والدي, لم أستطع وقتها الذهاب إلى بيتنا بسرعة..إنما البكاء والحزن سبقوا مجيئي بسرعة وقدومي السريع..

بأصعب الأيام التي كانت أمي تمر بهم ..أنا كنت بعيد, لكن والله يا مدينتي كنت أتألم جدا وكثيرا ولم يغب الوجع عني ولو للحظة..

هناك من يقول أولاد..لكن عند اللازم والصعاب والشدائد والمصائب لا يكون هناك أولاد..حينها يكتشف الوالدين أنهم لم ينجبوا بحياتهم وليس لهم أولاد..هكذا أحست وعاشت أمي..

..تمنيت لو أنهم دفنوني قبل أن أدفنهم...يا ليت ..لو كنت دفنتهم أنا..أحباب الله كانوا أحسن مني وأقرب من الأقرباء..

بكائي تحول إلى ضحك طويل...ضحك على حالي ومآلي وحتى عند انقضاء أجل الضحك أنا كنت أبقى ..باق أضحك...

...موت والدي أرجعني إلى الواقع والحقيقة التي غابت عني وأنا أعبد الجسد...الواقع الذي هو أن كل نفس زائرة الموت أجلا أم عاجلا..

كنت أحسب..أظن أن الأسرة بها قلب فاقد للجسد...لكن بعد رحيل أبي أدركت وعرفت أن جسد الأسرة هو الأب..

آه...آه...آه...خانتني الدنيا والأيام ولم يمكنوني من رؤية والدي الغالي لأخر مرة..

قالت لي رقية:

أنه مات وهو كان يتمنى دائما ومنذ فترة أن يراني ويقضي معي بعض الساعات قبل أن ترحل وتهجر الروح من الجسد أبديا..

نعم حزنت وحبست نفسي في غرفة لكذا يوم...قل عندي الأكل والشرب ومعهم النوم.

لم تكن عندي الشجاعة التي مقياسها الروح المتشبعة بالتقدم , والمواجهة والنفس المفتقدة للخوف...

...فضلت البعد ولم أظهر نفسي للناس التي كانت تقلب يديها لغيابي عن جنازة أبي..

..لم أدس على خوفي الجبان والى روحي الثانية والدتي العزيزة لم أذهب...لم أواسيها ولم تواسيني.غضبت مني ولم

أبادر أنا إلى إرضائها ومساعدة بعضنا البعض على النسيان وتجاوز المحنة..

الذي عملته هو أنني أخبرت رقية عن سبب عدم حضوري ووجودي في الجنازة وذلك بجلب قصة جديدة من مؤلفاتي الغير صحيحة والتي كانت:

...أنني بعد أن اتصلت بها أنا كنت قد خرجت من الاجتماع..توجهت لشراء وجبة لأكلها..وأنا بالطريق أقود فمن كثرة تعبي لم أركز ونقصت عندي الرؤية, وهذا ما جعلني أوقف القيادة..

...من مكان السيارة إلى المطعم في حدود كيلو متر ونصف مشي..

..على قدمي فضلت السير ..وأنا أمشي وبدون أن أرى بوضوح..قطعت الطريق وكانت هناك سيارة مارة فخبطتني, ومن لحظتها وأنا بالمستشفى إلى اليوم الذي عدت فيه..فحمدا لله كانت هناك كسور خفيفة..

هذه الحادثة نقلتها رقية للوالدة ولكل المعارف والناس الذين كانوا يكثرون السؤال عني وحول غيابي عن الجنازة..وطبعا هناك من اقتنع ومرت عليه القصة وهناك لا..

لم يكن يهمني الناس..الذي كانت تهمني والدتي التي بالصمت القاتل كان ردها على ما حكته رقية عن لساني..

ساعدني النسيان على تجاوز حزني وشدة وفاة والدي, والى حياتي العادية رجعت.

" ...ففعلا النسيان نعمة من الخالق"...

## " الفصل الخامس "

الفقدان والخسارة بدأ يطبق قوانينه ونتائجه معي...بدايات فقدان وخسارة قرار الترقية ووفاة والدي..

الفقدان لم يدفعني إلى التخلي عن عالم النساء الذي كله شفاف ولمعان...الاستقالة كانت مستحيلة عندي..

عبادة الجسد ..من هذه العبادة...ومن عبادتي للجسد.وصلت إلى أني مجرم ارتكب جرائم في حق الله علي ونفسي, التي لا عفو فيها ودون الاعتداد للظروف التي دفعت بي إلى ارتكابهم ...فعند الله لا يجوز التخفيف...

فثبوت الجريمة معناه تطبيق العقوبة التي عاقبت بها ودفعت ثمن جرائمي بشكل مختلف ومغاير, لم ينص عليه القرآن والسنة والقانون الوضعي.

جرائمي...حد الزنا..فعقوبتي أنا هي الرجم حتى الموت..قانونا حسب..لا بالضبط لا أعلم..

أما حد القذف ثاني جريمة هي القذف فأنا كذا مرة رميت المحصنة ومحصن كذلك بالزنا.فمن ممارستي للزنا صرت أرى تقريبا الكل مثلي..فعقابي في هذا الحد.. هذه الجريمة ثمانين جلدة والقانون عنده حد أدنى وأقصى له كلمتة وتقديره في هذه الجريمة..

الجريمة الثالثة ...نعم هناك ثالثة وأكثر..

حد السرقة التي تعد من الكبائر التي حرمتها الشريعة الإسلامية...بهذا أعلم...ومدرك أن عقوبتها عند الله قطع اليد والقانون بالسنين يقطع حريتك ويلوث كيانك وأوراقك مع المجتمع والدولة.

سرقتي...من البعض الذي أتذكره..هو سرقتي لأقرب الناس عندي..زوجتي رقية..وذات يوم وأنا راجع إلى البيت لم أجد شيئا أفعله..فالجيب عندي يصفر من الفقر..وأنا بالغرفة مسترخي على السرير أفكر بطريقة جديدة أكسب منها المال وأملأ جيبي..وأؤدي عبادتي التي تحتاج إلى مال وإمكانيات..دخلت رقية الغرفة وهي تحمل صندوق وفي الخزانة ..في قلب جهتها اليمنى ..بالأسفل خبأت الصندوق..

دون أن يصدر مني سؤال لرقية..

...نطقت ..فقالت:

أختي وداد أحضرت لي صندوق ذهبها وصيغتها لأني بهذا الأسبوع عندي زفاف زميلتي بالعمل.أنا لم أرضى..لكن وداد أصرت بأن لا أكون أقل من الحاضرين , وأجملهم أكون..حبيبتي هي طيبة جدا..

انتقل تفكيري وعقلي من التفكير في البعيد..والى القريب..

...إلى الصندوق الذي بالخزانة بدأ الفكر يخطط في طريقة أخذ الصندوق دون أن يكتشف أحد أن فرحات هو الذي أخذها..وعلى المجهول ألقي التهمة ..

استغليت فرصة خروج رقية من البيت...أنا خرجت قبلها ولما لمحتها من بعيد أنها خرجت عدت أنا إلى البيت ومن الخزانة أخرجت الصندوق الذي كان مختلط بذهب رقية وذهب أختها وداد..وضعت الصندوق بعد فتحه على السرير..لم أعرف وقتها..كنت متردد ماذا أسرق..وماذا أترك

..لكن بذكاء السارق كنت أنا..فحللت أحداث ما بعد اخذ الصندوق , ووصلت إلى أن السارق عند رؤيته لهذا الصندوق, والوصول إلى هدفه من دخول البيت من غير المعقل أنه يأخذ البعض ويترك , فأكيد ما يجده الكل يأخذه ويسرقه, ولكي أبعد الشكوك والظنون عني ..حملت الصندوق كله..

...يعني ما بقلبه وداخله معي وبعدها أقمت فوضى في البيت وكأن هناك سارق دخل البيت وبفعل البحث أزيح كل شيء عن مكانه , وبعدها لمحت الشارع والعمارة من الداخل , ولما تأكدت أن لا أحد موجود بالخارج ولا بالداخل خرجت من البيت بعد أن تركت الباب مفتوح..

هل تعلمي يا سطيف قمت بالسرقة بكل برودة ولا خوف أو رغبة في التراجع..بعدت عن التفكير بغيري وبما سأجلبه من خسارة وحزن بفعل هذه السرقة.فتفكيري كان كله في حاضر ومستقبل عبادتي للجسد وفقط..

...أخذت الذهب إلى منطقة بعيدة ..أخذته وبعته والمال الذي تحصلت عليه من بيع الذهب المسروق بمكان خفي وعميق في السيارة خبأته.

عادت رقية إلى البيت..وأنا أتجول بالسيارة بحثا عن رفيقة جديدة..رن هاتفي..زوجتي المتصلة وعن ضياع الصيغة أخبرتني وأنا بالزوج المصدوم لعبت الدور ..

..رجعت إلى المنزل وكأني لا أعلم شيء ..اتصلنا بالشرطة التي عملت جميع تحرياتها , لكنها لم تتوصل إلى وجود بصمات..فذكائي وقت سرقتي لم يغب وامتد إلى ضرورة لبس قفزات اليد لكي لا أترك أثار ورائي..هذا ما كنت أشاهده في المسلسلات الأجنبية..

تحقيق وتحري الشرطة وصل إلى أن الذي قام بالسرقة..من سرقنا يعرفنا وعنده مفتاح البيت...هذه النقطة غابت وغفلت عنها, كان المفروض مني أن أقوم بكسر قفل الباب..

لم تكن هذه أخر مرة اسرق فيها وإنما كانت بداية لسرقات أخرى ..لكن والله لم تكن بالتخطيط..بمعنى أكن محتاج فأجد أمامي شيء ليس ملكي فأخذه دون علم صاحبه..

سرقت محفظة كذا امرأة وفتاة رافقتهم وغالبا كانت الأجرة التي أسلمهم إياهم .وبخفة يدي أخذها منهم عن طريق السرقة خفية ودون علمهم..

..كما سرقت مرة مرتب زميلي بالعمل بالجريدة...كنت محتاج جدا للعب القمار في تلك الليلة , فمددت يدي..

سرقت كذا شيء من البيت وبعتهم..أشياء منزلية.

وككل مرة كنت ألعب دور أني لا أعلم وأني بريء من كل ذلك.

حالي وأفعالي لم تتوقف هنا وفقط وجرائمي فاقت ذلك..

حد شرب الخمر..الخمر حرام..إثمه كبير..وإثمه أكبر من نفعه هكذا قال الله في كتابه الكريم..عقوبة الله هي ثمانين جلدة...

شربت الكثير من الخمر الذي كان ركن من عبادتي للجسد.فسهراتي ونزواتي كانت تحمل معها الخمر طبعا...شربت لفترة خفية دون أن يعلم أحد بي ...لكن شيئا فشيئا..شربي الكثير وبكميات كبيرة كان يفقدني العقل كلية والى البيت كنت أرجع بحالة سكر...أفعل تصرفات وأقول كلام لا أعي بصدوره مني.

أول مرة عندما رأتني رقية سكران وأتخبط يمين وشمال..مني هي والأولاد خافوا كثيرا وبغرفة واحدة حبسوا أنفسهم إلى غاية الصباح..وفي الصباح لما عاد لي العقل ورجع الوعي عندي إلى محله..دخلت على غرفتي وجدت رقية تضع ثيابها وثياب أدم وعلي في حقيقة...كانت تود الرحيل وتركي وحدي..

نعم أنا لم أكن أجلس معهم دائما وكثيرا..كنت أرى أن وجودهم مثل عدمهم..كنت أظن هكذا..هكذا ظننت..لكن..نعم وجودهم كان يريحني ويشعرني بالأمان وبأني لست وحيدا..

فعندما رأيتها تهيأ نفسها للرحيل والبعد عني ..لتركي ..كنت كالمجنون..كل طرق التوسل وطلب السماح لجأت إليهم واستعملتهم..وهذه المرة تحججت بالأموات..بررت لها رجوعي سكران..سبب حالتي البارحة هو وفاة أبي ..غيابه الأبدي هو الذي أوصلني إلى هذه الحالة..فلجأت إلى قارورات الخمر ظنا مني أنني أنسى وأتغلب على حالتي ..

قالت لي:

هناك أشياء كثيرة تحصل وحصلت وراء بعضها البعض ..غريبة كانت ولم أجد لها مفسر وشرح منطقي..أنا لم أعد أحس بالأمان والطمأنينة..

شيئا فشيئا أقنعتها مبدئيا بأن تبقى بالبيت هي وأدم وعلي..

هان عليها كل شيء إلا دموعي التي نزلت صدقا , وحقيقة أمام أشياء كثيرة ومزيفة..أمام هذا ..مع كل هذا عاد فرحات إلى عادته القديمة..

عندما كنت أعود إلى البيت بحالة سكر ..صار الجيران يجروني إلى البيت وأسوأ الكلام بسببي كانت تسمعه رقية منهم..

...لم تجد رقية وقتها حل..لم تستطع الرحيل فضلت مواجهة مشاكل بيتها..فأين ستذهب ..إلى زوجة أبيها أو إلى أشقائها الذي كل واحد ببيته مع حياته الخاصة.وحتى إلى والدتي لم تتجرأ للذهاب..فماذا كان سبب تركها لمنزلها؟..لم ترد إخبار أمي بحالي..فكانت تفكر بفرحات قبلها هي..

أولادي أدم وعلي الخوف مني أبعدهم وأنهى القرب الذي كان بيننا...صداقتنا لم يعد لها أثر ووجود في مثل هذه الظروف التي أوصلتهم أنا اليها.ومسؤوليتي اتجاههم تحملتها وقامت بها الأم والزوجة رقية..

..بيتي وعلاقتي مع أسرتي كانت مكهربة جدا..وأنا من شجعت على استمرار هذا التوتر وهذه الكهربة خلقت بفعلي..

لم أقدر المعاناة التي كانت تعيشها زوجتي وفوق هذا كله في أوقات عملها وفي أوقات فراغي كنت أستضيف شروق عندي, وفي غرفتها كنا معا نعيش المتعة التي أماتت عندي اللازم والعيب والمفروض..وحتى عند وجود شروق وحدها ببيتهم كنت إليها أذهب وبعبادة الجسد ..من جانب الزنا معا نمارس بجميع الأمكنة وتحت اسم استغلال الفرص والوضع..

واصلنا..إلى أن جاء اليوم ..مسكتنا رقية أنا وشروق على سرير واحد وبوضع لا أحد ولا هي يتمكن من الرؤية والمشاهدة..رؤية بشاعة الخيانة..

لن أنسى ذلك اليوم الذي وقعت فيه رقية فاقدة الوعي على الأرض بعد مشاهدتها بأم عينها لخيانتي ومع من ؟..مع جارتها..ومع بنت المفروض أب لها أكون والحامي والحافظ..

لن أنسى المرض الذي أصابها..الذي أصيبت به بسببي..بمرض السكري بدرجاته الأخيرة بشكل دائم أصيبت..

لن أنسى معاناتها مع هذا المرض..ووصولها إلى الموت عدة مرات لولا ابر الأنسولين التي ساعدتها على المقاومة والالتحاق بجلب من هذا المرض الروح..

وقتها..أين تذهب ؟..لم تذهب...لم أسمح لها بالذهاب بعد أن طلبت الطلاق مني..بعد أن كانت كل ما تراني تطلب أبغض الحلال..لكن أنا لم أكن أسمع إليها..

كلما..كلما تراني تزورها نوبة السكر القوية..من هذا ..من أجل صحتها .اضطررت إلى مغادرة المنزل والرحيل..

...بأصعب الأيام تركتهم...أتذكر اللحظة التي كان فيها أولادي يضعون رأسهم على رجل والدتهم وهم يبكون ويتوسلون بأن تبقى ..بأن لا تتركهم وان ذهبت لا تنسى ..لا بد من أخذهم معها.

...رحلت عنهم لأني لم أقوى على مشاهدتهم بهذا الحال..فهربت..هربي كان غلطة..كان هروبي هروب من الواقع والحقائق التي صنعتها بيدي..بهذا الهروب لم أظم معه هروبي من عبادتي للجسد..

خبئت..لم أداوي مشاكلي وحال أسرتي وحالي بإنهاء ما أقم به..وجدت نفسي بقوة أكمل في العبادة..

أقمت في الفترة التي غبت فيها عن البيت كل ليلة بمكان ليس بالطاهر..أعمل بالجريدة الصباح وبالمساء مرة ببيوت الدعارة أذهب ومرة إلى مجالس الخمر والقمار ومرات بالسيارة الجسد ينام ..

..جاء زمن اكتشافي..أفعالي تعدت محيط علم أسرتي..فلي زميل بالعمل الذي رأى أن هناك أشياء تغيرت..بفرحات حدث تغيير واضح وكبير..فجاءه فضول أن يعرف الذي أخفيه..هو كان يغير ويحسد نجاحي فكان يبحث عن شيء يزيح وينهي به هذا النجاح الذي بقي لي بعد فقدان الكل تقريبا..

لم أكن أنتبه إليه وهو يراقبني..كشف عبادتي للجسد وإدماني للزنا ولهذه العبادة وحتى سرقتي..لعبي للقمار وعلى طاولة القمار أخذ لي صور ..التقط كذلك كذا صورة وأنا افتح حقائب اليد لإحدى الفاجرات فلم يجعل هذه اللقطة تفته وأخذ لها صورة..كما دفع لإحدى الزانيات مبلغ معتبر مقابل تصوريها لي وأنا معها في وضع حرج..

...وبهذه الصور أنهى مستقبلي المهني وعلى مكتب رئيس التحرير وضعهم ..وكذلك أرسل تلك الصور إلى مدير الجريدة بالعاصمة الذي أخبر رئيسي بأن يوقفني عن العمل لمدة أسبوع إلى أن يأتي قرار التأديب الذي يحدد مصيري بجريدة الفصول الأربعة..

بتلك الأسبوع عبادتي كانت تضغط عليا وأنا لا أملك رأس المال الذي يؤهلني للقيام بما تفرضه عبادة الجسد..

..بهذه المحنة التي كنت أنا فيها..اتصلت رقية بي تطلب مني أن أرجع إلى المنزل لأنها لم تعد تستطع التأثير والسيطرة على الأولاد..فعدت مضطر لأنه لم يعد لي مكان أذهب وألجأ إليه سوى البيت الذي سيحتضننا إلى متى ..بالقليل..أيام..ممكن ساعات نطرد..

كان هناك خبر ثاني عند رقية.أنها حامل بالشهر الثالث أعلمتني..

عندما سمعت هذا الخبر..وكأنها تخبرني عن حمل إحدى الجارات بالعمارة..لكن لكي أحفظ لي مكان بالبيت بالقبلات والفرحة رديت على خبرها هذا..وقلت لنفسي ..كنت أقول ممكن يكون هذا المولود فاتحة خير علينا وسبب لنهاية كل الذي أعيشه ونعيشه وعيشته لعائلتي..

رجعت العلاقة بيننا..صحيح ليس كالأول لكنها كانت في مرحلة إعطاء فرصة للتغير إلى الأحسن..

...قبل أن ينتهي الأسبوع اتصل بي رئيس التحرير بالجريدة وأعلمني بضرورة وجودي بالجريدة على الساعة

واحدة بعد الظهر..ذهبت..لم أتفاجأ لقرار فصلي من الجريدة, فطبعا الجريدة لحقت وبسرعة للحفاظ على كيانها ومركزها..

لم أخبر أحد بقرار الفصل...ماذا أقول ؟..ما سبب الفصل ؟..ليس لصالحي أن أقول وأشفي بهذا الخبر..برجوعي للبيت...أمام العمارة كان ينتظرني رجلان من الذين كنت ألعب القمار معهم بالدين..ديني معهم تفاقم وهم جاءوا يطالبونني بتسديده عاجلا..وعدم تسديدي سيدفعهم إلى تسليم وصلات الأمانة والشيكات إلى الشرطة..

المصائب كانت تنزل عليا الواحدة تلو الأخرى مباشرة, أخرج من مصيبة تلحق..أقع بالثانية دون إعطاء فاصل استراحة..

لم تكسبني عبادتي للجسد التفكير في حل للمصائب التي أنتجها جسدي بعبادتي له وطاعتي..لم يكن لي مخرج أخر ..لجأت إلى بيع بيتي الذي هو عندك يا مدينتي..فنزلت بأحد الأيام بعد أن وجدت مشتري لبيتي الذي بنيته لسنين من الجهد والعمل وبمال الحلال..ومع بيع لبيتي وأخذ ثمنه إلا أن الدين لم يكتمل بعد ثمنه الإجمالي..

ضغوطات أصحاب الدين..الدائنين..المهلة القصيرة التي منحوني إياها دفعت بي إلى ارتكاب جريمة جديدة وهي النصب والاحتيال.. والتصرف بأملاك الغير..هذه الجريمة التي لم أعاقب عليها بالأرض التي بها ولدت وكبرت ..بك يا سطيف قمت بها...من أقرب شخص لي بهذه الحياة نصبت وتحايلت ..أذكر للمرة الثانية من بيع بيتي...عدت إلى أرضك ثانية..كمجرم جاء لينفذ جريمته..جئت..إلى بيت أمي ...عند أمي قاصدا الزيارة أين أمضيت معها يوم كاملا..ونحن جالسين نتحاور ونتكلم ..هي تعاتب وتلوم..بالعفو والسماح ..التبرير والكذب كنت أرد على عتابها ولومها..

..عندما تأكدت أنها عني رضت وسامحتني ونست الذي حدث وصدر مني أغضبها وأزعجها

بصعوبة..سحبت..أخرجت من جيبي أوراق..الورقة التي كان مضمونها أن أمي عملت لفرحات توكيل من أجل بيع البيت التي هي تقيم به..وبحكم أن أمي لا تعرف لا الكتابة ولا القراءة...لعبت..استغليت أنا هذه النقطة وأوهمتها أن موضوع الورقة هذه يضم حقها في انتقال راتب أبي المتوفى الشهري إليها..

وضعت بيدها القلم وطلبت منها أن تمضي في المكان المحدد..وبعد منحها لي توقيعها صرت أقنعها أكثر بأنني أنا ذاهب لأرسل هذه الورقة إلى الشركة التي هي بفرنسا التي كان والدي عاملا بها..والشركة ستمنحك مبلغ من المال ناقص قليلا عن الراتب الكلي الحقيقي الذي كان يتقاضاه أبي..

..ولأني أنا ابن أمي..أمي صدقت كلامي وحتى أنها شكرتني..فهي لم تجد أحد يتابع لها هذا الموضوع ..

بذلك التوكيل أنا بعت البيت الذي والدتي مقيمة به..وثمن البيت ضممته إلى ثمن بيتي وبهذا الدين دبرت منه الكثير وبقي إلا جزء بسيط..

لم أصبر وسحبت جزءا قليلا من مال الدين..وذهبت إلى بيت الدعارة أين قضيت ليلة ولا أروع..

بتلك الليلة حدث شيء غريب بذلك البيت..كان أحد الرجال الذين ترددوا وزاروا البيت بتلك الليلة مات بعد تعرضه لأزمة قلبية..سبب هذه الحادثة هو أن الرجل الذي مات الفتاة التي كان معها بالغرفة كانت ابنته..

دخل غرفة أداء الزنا وهو لا يعلم أن التي بالغرفة ..التي سيمارس معها عبادته للجسد ستكون ابنته..التي كانت ترتدي سوى ملابس داخلية وبيدها كأس خمر..فبمجرد رؤيته لها سقط ومات...

هذه الحادثة أنهت الليلة وجعلت الموجودين الكل يهربون من ذلك البيت وأنا منهم..

...موت الرجل وهو ببيت عبادة الجسد وتر حالي وأدخلني في خوف من النهاية لكذا يوم..وأنا أعيش الخوف من الغد الذي ليس فيه تراجع جاء..

عدت بأدراجي إلى مأواي..رن جرس البيت كان رجل من طرف الجريدة يخبرني بإمهال الجريدة أسبوعين لإخلاء السكن..البيت والشقة التي أنا بها حاليا ..

أين أذهب ؟..أين أعيش أنا وأسرتي ؟..هذا الذي لم أفكر به لحظة بيعي لعقاري وعقار أمي..

..من هذا الخبر آلة التفكير عندي تعطلت بشكل نهائي..نهائي بسبب..من كل هذه المفاجئات ..لم أفتح فمي ولم أتفوه بأي حرف ولا كلمة عن موضوع إخلاء البيت للأولاد ورقية التي كانت فرحة بحملها والذي بقي عليه أيام وترى إن كان ولد أو بنت..

المصائب ..المشاكل التي لا حل لها لم تتوقف عن مضايقتي وإزعاجي وتحطيمي وتدميري..

جاء الذي لم أتوقعه أن يحدث بأي وقت ألا وهو وجود علاقة سرية بين أدم ابني وشروق عشيقتي..

أنا خلال هذه الفترة المليئة بالانشغال بما حل بي من مشاكل بعدت عن شروق..لم تنتهي علاقتنا..لم ننهيها وإنما الظروف فقط لم تسمح لنا بأن نلتقي ونتواصل..

فترة بعدي عنها أرادت شروق فيها أن تنتقم مني لأني تركتها وأهملتها دون أن أخبرها وهكذا..فاستغلت نقطة ضعفي بعد عبادتي للجسد أولادي ورافقت ابني أدم صاحب الأربعة عشر سنة..فكانت تستضيفه عندها ببيتهم كما كانت تستضيفني وفي نفس المكان والتوقيت..

كشفت ذلك عندما اتصلت بي وقالت بأنها تود رؤيتي..تريدني أن أذهب إليها لنتكلم وهكذا..ذهبت إليها..وجدت الباب مفتوح دخلت مباشرة..أين رأيت الفاجعة

..أين شاهدت أدم ابني الأكبر على صدرها يقبلها ومنسجم معها..

الحركة الصادرة مني..الذي صدر بعد هذه المشاهدة ..أقبلت عليهم وبدأت أضربهم الاثنين..أدم وشروق..أضربهم..ضربتهم بشدة..انفلت أدم من يدي..لحقت به إلى المنزل..لم أستطع أن ألقنه درس أخلاقي وأنا لم ألقنه لنفسي..لم أستطع أن أطلب منه عهد أن يبتعد عنها وأن لا يعيد الذي رؤيته, وأنا لم أطلب من نفسي ولم أعدها ولم أتوقف..

..أمرته بان يفعل مثلي..كما أفعل كل مرة أن لا يخبر أحد..لا يخبر أمه..وأني أنا لن اخبرها..

عقابي له كان أنني سأراقبه وان مسكت شيئا عليه لن أرحمه..

بدا لي الشيء الذي فعله أدم ليس بالشيء الكبير..ممكن لأنه ليس بالغريب عني..وعندي..أو لأني وقعت بنفس غلطته لما كنت بسنه..أو...

عقابي لبني أدم لم أطبقه..لم أراقبه لا لشيء وإنما لأنني كنت كثيرا مريض ولم أكن أقوى على النهوض من السرير , فالتعب كان واضح عندي جدا..

مر عليا الأكثر من أسبوع وأنا أصارع السرير وبأول يوم من الأسبوع الثالث تحديت السرير وتعبي ومرضي الذي لم أستطع تحديد ما هو..وما يوجعني ويؤلمني...

رقية كانت قد خرجت..التحقت بمقاعد التدريس والأولاد إلى مدرستهم توجهوا..بمفردي بقيت..

بشق الأنفس نزلت أدراج العمارة...بهذا التعب..بسببه عجزت عن السير والمشي..لقيت أولاد الحلال الطيبون ساعدوني من الجيران..والى المستشفى نقلوني ..

..جيراني صار لا أحد منهم يكلمني ولا حتى بوجهي ينظر وهذا بعد قدومي إلى البيت مرات سكران والشجار المتواصل

الذي كنت أقيمه معهم.لكنهم والله عند الشدة وجدتهم ..إيه والله...

فيا مدينتي..الذنب لا ذنبك أنتي ولا ذنب المدينة التي أقمت بها ولا أي مكان أخر..ولا الذنب على الناس..ففي كل مكان هناك الجميل والبشع..الحسن والسيئ..الخير والشر..هناك أصدقاء سوء وأصدقاء صلح وأخلاق..فالذنب يا ولايتي ذنب فرحات الذي عندك يا سطيف عاش كالملاك لأنه وجد بك موانع عديدة منع بها عن عبادة الجسد..خارجك عاش وأصبح..كان شيطان بوجه إنسان..

لوثت سمعتي ..اسمي وأنا عند غيرك..مع أنه كان بإمكاني الحفاظ عليه وتكبيره..

لم أقدر فضل الله عليا والأشياء التي منحني إياها الخالق..عمل جيد ..والدين ما شاء الله...زوجة ولا أروع منها...أولاد أجمل أجيال وأولاد هذا الجيل...معيشة الحمد لله ..رزق واسع...كل هذا محوتهم بلحظة...كل هذا لم أحافظ عليه..رميتهم بالسلة مقابل عبادة الجسد..

..العبادة التي أرتني سعادة مزيفة وليس لها دوام وعلى ألام تنهيني..أنهتني..قدمت لي مسكن أفاقني على جروح ومصائب ..على فقدان ومعاناة..

هذه العبادة..عبادتي أهدت لي مرضين لا شفاء لهما, والدواء سوى التخلص من الآلام لثواني..

دخلت المستشفى بماعية جارين لي بالعمارة..جزاهم الله كل خير..

..لم يستطع الدكتور بالمستشفى تحديد نوع مرضي فلم يكن له خيار إلا أنه يلجأ إلى تحليل الدم التي ستكشف له أكيد..غير أن الأعراض..أعراض المرض الظاهرة عني تكشف..في مثل هذه الأعراض والحالة لا بد من التأكد..

..الحمى التي كانت تعتري جسدي..شعوري بالتعب المتواصل...الإعياء والوهن.فقداني لشهية الأكل وإقلاعي الدائم

عن الآكل ولفترة..وان أكلت أقوم بإفراغ ما أكلته..أتعرض إلى إسهال حاد..نحافة جسمي...فقداني الشديد والواضح لوزني.تعرقي الكثير عند لجوئي إلى الفراش..وعدم استطاعتي وقدرتي على النوم..

..والذي كان ظاهرا عليا جدا ظهور تقرحات بفمي بشكل واضح..فهي تمنعني من القدرة على تناول الطعام وحتى على الكلام...مع التهاب اللثة..

ما شاهده ..ما رويته للطبيب جعله مبدئيا يتنبأ ويعرف مرضي..مع هذا لجأ إلى التحليل الذي يخفي وينهي الشكوك بنتيجة حتمية ..أخذوا..سحبوا من ذراعي عينة دم.

رجعت أنا إلى البيت وكل يوم كنت أتصل بالمستشفى وأسأل عن نتيجة التحليل..

أخذت نتيجة التحليل خمسة أيام.وباليوم الخامس اتصلوا بي من المستشفى وطلبوا مني أن أتقدم إليهم لأخذ نتيجة التحليل..

ذهبت واستلمت النتيجة التي سلمتها إلى الطبيب هناك..لحظتها كانت أصعب اللحظات التي مرت على حياتي..كان الموت وفقدان أشياء..لكن نتيجة التحليل كانت أصعبهم بكثير..

أنا أرى أنه أصعب عقاب ..نعم..أنك تصاب بصحتك وبالخبيثين الذي يسحب الروح من ذلك الجسد بألم وجراح...الجسد الذي كان السبب الرئيسي في وجود فيروسين قاتلين..

حتى الطبيب لم يستطع أن يخبرني على المرض مباشرة..باشر بطرح الأسئلة وكلها كانت محرجة ..من بينها..

هل أنت لك علاقات جنسية خارجة عن إطار ونطاق الزواج ؟..وان كان...كم علاقة؟..

هل كنت تستعمل وسائل الحماية عند التواصل الجنسي ؟..

..لم أجد جواب لهذه الأسئلة..بالأحرى الإجابة عندي كانت صعبة..سكوتي وهروب الحروف والكلمات مني وصل الجواب وقتها إلى الطبيب الذي نظر اليا بكل أسف وقال:

أنت يا سيد فرحات سلامات مصاب بمرض السيدا المعروف بالايدز وبحالاته المتقدمة...منذ فترة وهذا المرض يصاحبك ويرافقك..ومتواجد بجسدك..إضافة إلى هذا أنت مصاب..أصبت بسرطان في الدم..

أنا كنت أتوقع..فرحات توقع أنه مريض بمرض غير عادي ..لكن ليس بهذين المرضين..

عندي مرض السرطان أهون بكثير من مرض السيدا..

..الايدز الذي يصعب على كل مصاب به أن يفسح به.مع وجوده نخجل من أنفسنا مع أنفسنا وأمام الغير..

شرح ووضح الطبيب لي مدى خطورة المرض وحساسيته بين الناس وفي المجتمع..

وقال:

لا بد أن ألتحق بالمستشفى..المصحة المخصصة لمعالجة أصحاب الايدز وأتابع مرضي هناك..

وافقت..والى البيت بأدراجي عدت وأخبرت أصحابه بأنني مسافر إلى تونس في سفر عملي..وهم صدقوا كلامي ولم يعارضوا...صار كل واحد فيهم يحدد نوع الهدية التي أحضرها وأجلبها معي من هناك..فهديتي إليهم التي لا يدرون بها هو رحيلي عن هذه الحياة, وأي رحيل...بعد قضاء أبشع الأوقات في المعاناة و..آه.تمنيت..كان يحلم فرحات..تمنى أن تكون موتته سهلة ..خالية من المرض..

جرائمي من زنا وشرب الخمر والقذف والسرقة..عقوق الوالدين..القمار..النصب والاحتيال..اشتملت العقوبات في عقوبتين..في مرضين..في جزاءين..السرطان والايدز

جهزت لوازمي وأوراقي الشخصية..وودعت أولادي وزوجتي وذهبت..

أمضيت شهر بالمصحة التي مللت بها كثيرا وكرهت فيها من الدواء والعلاج والنوم على السرير..كرهت وسئمت كل شيء هناك..

لم أكن بمفردي في ذلك المكان...كان معي العديد من الإخوان..

جمعونا لكي لا تنتشر العدوى والمرض في أوساط المجتمع وعائلاتنا..

...بهذا الشهر في يومه الثامن عشر كان يوم وفاة والدتي التي رن عليها جرس البيت بهذا اليوم, وكان صاحب البيت الجديد...المشتري..الرجل الذي بعت له منزلنا الذي تربينا وكبرنا فيه واحتضننا سنين لا تنسى ولن تغيب عن الذاكرة..

دق..كان يأمرها بأن تفرغ له المنزل وتغادر ليتنقل إليه..وبعد أن حكا لها عن الموضوع وعن فعلتي...ارتفع الضغط عندها...ضغط الدم..فماتت مباشرة..فحتى جنازة أمي لم يكن لي نصيب أن أكون من المشرفين على الجنازة وبيدي هاتين ادفنها وأقرأ لها الفاتحة..

كانوا بالمصحة مرات يسمحوا لنا بالاتصال بأهالينا وأقاربنا للاطمئنان علينا والاطمئنان عليهم..هذا حق من حقوقنا هناك..وحتى الزيارة متاحة..

الكل كان أهلهم وعائلاتهم يدرون بمرضهم إلا أنا كنت اخفي مرضي..

من الهاتف الذي بالمصحة كنا نتصل..باليوم الثامن عشر اتصلت على البيت وليس هناك من مجيب..وعلى هاتف رقية كذلك اتصلت ولم ترد..

لم أكن أعلم..أحسست أن هناك شيء سيئ حدث..غاب عني أن والدتي ماتت وقتها..وبالفرصة الثانية المتاحة للاتصال..باليوم الخمسة والعشرون اتصلت..حينها..من ذلك الاتصال وصلني خبر وفاة أمي الذي كنت أنا السبب فيه , ولم يكن هذا وفقط..رقية كانت متعصبة مني جدا لأن من البيت تم

طردهم وهم الآن في الخيمة التي صنعوها الجيران لهم مؤقتا إلى أن تجد بيتا للإيجار..

أمام هاذين الخبرين سئمت البقاء في المصحة, وقضاء خمسة أيام الباقية كانت سوى للتخطيط للهروب..وباليوم الثلاثين كان يوم هروبي من المصحة ويا ليتني لم أهرب وبقيت إلى أن خرجت الروح مني والى السماء عادت ..وبجهنم أقيم وتقيم

هربت لأقوم بواجبي اتجاه أسرتي..الواجب المتأخر والذي فات أوانه..وغاب تأثيره..

توجهت بعد هروبي إلى البيت القديم الذي وجدت أن هناك أناس جدد بقلبه..سألتهم...وسألت كل أحد يصادف طريقي عنهم..

...وأنا خارج من العمارة إذ بشروق ورائي تناديني ..الخوف كان ظاهرا عليها ..

لها قلت:

ليس لي قدرة للكلام معك..

قالت:

انتظر...أنت ملزم أن تسمعني...فالذي أنا فيه بسببك أنت..

قلت:

ما الأمر ؟..

قالت:

فرحات أنا حامل منك..

أنا لم تحضرني الدهشة ولا الصدمة ولا غيرهم..

...بكل برودة قلت:

اذهبي وامزحي بمكان..انصرفي واخدعي غيري..

...وضعت شروق يدها على بطنها وقالت:

أنظر إلى بطني فالحمل بدأ يظهر عليه..

..ماذا أفعل ؟...خلصني من هذه المصيبة رجاءا فرحات..

عليها رديت فقلت:

ألم تكوني تتناولين حبوب منع الحمل...وأصلا الذي ببطنك ليس مني , فاذهبي إلى والد جنينك الحقيقي..هذا إن كان له أب معروف.وأنا الذي أنا فيه يكفيني فلست مستعد أن أسمع منك سخافات وتفاهات أخرى..

تكلمت شروق كثيرا وطلبت مني المساعدة وتحمل المسؤولية, لكن أنا لم أرد عليها...فإقتناعي بأنني لم أكن أنا الأول ولا أنا الوحيد بحياتها جعلني لا أصدق كلامها وأقسو عليها

بقيت..ظل فرحات يتذكر أخر كلام قالته شروق له قبل رحيلها المحدد من طرفها بأن " ذنبها برقبتي العمر كله"..

...وأخيرا وجدت البيت الذي استأجرته أسرتي..هو قريبا جد من بيتنا السابق..

لم يعودوا إليك يا سطيف لكذا سبب..بالرغم .مع معرفتهم أنني خسرت عملي ومع هذا ظلوا هنا لأن رقية ملتزمة بعملها هنا ودراسة الأولاد ولم يبقى لهم في سطيف عندك يا ولايتي لا أحد وحتى الجدران..

....لم ترد أسرتي لا أدم ولا علي ولا رقية استقبالي ولا النظر بوجهي حتى..وحتى أنا لم أجد ما أقوله لهم.مهما قالوا مهما فعلوا فالحق لهم..الحق معهم...

لا أحد منهم تكلم..نطق بكلمة واحدة إلا أن الابن المدلل حبيب فرحات علي...ابن العشر سنوات أخبرني أن الآن فقط قبل قدومي بدقائق قليلة, كانوا عندنا رجلان وامرأة على هيئة أطباء أخذوا من الكل عينة دم السبب لأن هناك مرض منتشر هذه الأيام ومن أجل القضاء عليه وحمايتنا والحد منه والوقاية هم يقومون بأخذ الدم منا..

كلام علي هذا ذكرني بإصرار المستشفى في أول اكتشافهم واكتشافي بالمرض بأن أنقلهم إلى بيتي ليتم الفحص على أفراد أسرتي والتأكد من أنني أنا المصاب من بينهم وفقط, لكن أنا وقتها احتججت بأنهم مسافرين..

سكتت رقية كثيرا وبعدها قالت...بالسؤال بدأت
...لماذا رجعت ؟...هل تركت شيء هنا لترجع من أجله؟..
...أنا غيرت الموضوع...وبالسؤال كان ردي..
بطنك كبر..أي شهر أنتي الأن ؟...
قالت:
بأوائل الشهر السابع ..بقي على الولادة شهرين بالضبط..
قلت:
ولد أليس كذلك ؟...
قالت:
أنت ماذا تتوقع أو توقعت ؟...
لها قلت :
ولد.
قالت:
من قبل قلت لي أنك تطلب من الله أن يرزقك بنت ..أنت تحب البنات أدري بذلك لا تخفي ..
قلت:
كنت ...الآن لا..
قالت وهي تضحك:
للأسف ببطني بنت...بأحشائي جنين جنسه أنثى..
عند سماعي لهذا جاء بفكري وصوب عيني مباشرة حادثة موت الرجل الذي كان سببه بنته التي...والله لا أحب أن أتذكر ...من لحظتها كرهت البنات ومن رفقتي لهم كذلك..
من عبادتي وعبادتهم هن ..لم أصر أتمنى أن أرزق ببنت..
رقية تسألني لماذا لم تعد تحب البنات ؟...ما السبب ؟...
وأنا بفاجعة موت الرجل يومها...وبالقصة التي حكاها لي أحدا بالمصحة كنت غير مركز معها.
فرجل معي بالمصحة ابنته حملت وأنجبت ولد غير شرعي وهو يتعاطى المخدرات هذا الأب وهي كذلك...وبدون أن يعلم وجد حقنة بالبيت استعملها في حقن نفسه بالمخدرات,

وهذه الإبرة ..الحقنة كانت لابنته المصابة بالايدز , وعلى إثرها انتقلت له العدوى وأصيب بنفس مرضها..

تذكري لهذا جعلني أتصرف بغباء وأحاسب وألم رقية عن شيء ليس بيدها , فالرازق الله والأولاد هدية إن كان ولد أو بنت..

...اندهش الكل لردة فعلي التي كانت قولا وفعلا..

قلت للزوجة الصالحة..وبصيغة الأمر وجهت لها الكلام..

الآن اذهبي وأجهضي البنت...لا أريد هذه البنت أن تأتي إلى هذه الحياة وتكون ابنتي فهمتي ...هل فهمتي؟...

رقية كانت سوى واقفة فاتحة فمها وبعدها وضعت يدها على فمها..

وأنا أقول ...إن لم تتخلصي من هذا الحمل أنا سوف أخلصك منه..ومن يدها بشدة مسكتها وكنت سآخذها إلى المطبخ أين كنت سأسحب السكين وأحاول تمزيق بطنها , وإخراج الجنين وبيدي أقتله..

فرحات خاف..خفت أن تعاقبني الدنيا والزمن وعبادتي للجسد بابنتي وللجسد تعبده مثلي..خفت وخوفي لم يكن له أي داع لأني ببساطة لن أعيش خمسة عشر سنة أو أكثر وأرى أفعال ابنتي

....تصرفاتي لم تكن منطقية.وأنا أجر رقية إلى المطبخ وهي تقاومني بكل ما تملك من قوة كنت أقول..

أنا مصيب بالايدز وأنتي معي والجنين حتما..على اثر هذا الكلام توقفت رقية عن مقاومتي ومعها أنا توقفت بعد أن بدأت أشعر بدوخة أرضا أجلستني...

...عيناها وديان تسيل ويديها الاثنين ببطنها وهي لحرف لالا تقول وتردد...بصوت منخفض إلى صوت مرتفع قلت:

نعم ليس لنا حياة بعد اليوم...وأنا سأنهيها لي ولكم , والى المطبخ مسرعا دخلت لأسحب سكين لأضع حدا لحياتنا جميعا

بمجرد دخولي أخذت رقية المفتاح الذي معلق أمام الباب وبسرعة تفوق سرعتي نزلوا وركبوا السيارة..فسيارتي عند دخولي للمصحة تركتها عند رقية ...كانت تستعملها وفي هذا اليوم كان بمسائه لا بد أن تسلم رقية السيارة إلى المشتري ...باعتها لأننا كنا محتاجين وراتبها لم يغطي كل المصاريف...

حاولت اللحاق بها ..بهم..لكني لم ألحق بهم ..كانوا سبقوني..تأخرت..لم أكن أعي لما أفعله..

وأنا بوسط الشارع واقف أنظر ..أتوقع الاتجاه الذي سلكته رقية ومعها الأولاد .. وصل الى أذني .الى سمعي صراخ كان كصراخ الحزن وأن أحدا مات ..

حالتي لم تكن تسمح بأن تشتغل بأحد وتتبع ذلك الصراخ.وبإدراجي راجع إلى البيت كان احد الجيران أمامي يخبرني بأن شروق انتحرت...قطعت يدها والشرايين المتصلين بالقلب انقطعوا..نزفت كثيرا فماتت..

على قدمي وقعت وبتلك..بهذه اللحظة أحدا من الناس ...من الوراء عليا ينادي وهو يقول فرحات...فرحات..زوجتك وأولادك تعرضوا إلى حادث بالسيارة وماتوا جميعا.على هذا الخبر فقدت الوعي كليا...ولم أشعر بنفسي إلا وأنا على سرير المستشفى...

تعرضت إلى فوق الذي تعرضت له..إلى أزمة نفسية حادة وقعت..عشت...مررت...ولا تزال نفسيتي هي والصفر معا..لا لا الصفر بصفوف سبقني..

ظن الجميع أنني جننت من حكاياتي لهم عن ما أرتني إياه وأوصلتني إليه عبادة الجسد هذه.لكن أنا لم أجن ولأول مرة منذ لجوئي إلى عبادة الجسد لساني بدأ ينطق سوى الصدق وعن الكذب توقف..

حقيقتي...صدقي...اعترافي...الكل كانوا متأخرين وليس لهم معنى..ومع نفسي..لوحدنا بغرفة العلاج ..بغرفة

النهاية..هؤلاء أسأل وأتحاور..أتجادل وأتكلم..وبيدي هاتين صنعت الوحدة القاتلة الخانقة لنفسي..

.....لماذا الحياة هجرتني.....

.....لما المأساة لا تفارقني.....

.....لما الحب عن عالمي غاب.....

.....لما العشق رحل وتاب.....

.....لما النفس..الجسد سوى يعاني....

.....هل نفسي فعلا تهرب مني.....

.....تغيرت النظريات ووجدت نظريات.....

.....قواعدها ضد وقوانينها عكس.....

.....لما....ولما ....ولما كل هذا.....

.....هل خلق الجسد ليتعب ويعاني وفقط.....

.....أم الراحة لدينا....نحن عندها ككلمة.....

.....كشيء جامد غير صالح للاستعمال.....

.....من المذنب...أنا....أنت...أم هم.....

.....من المسئول...الزمن أو الكون.....

.....من الظروف...أم الفرص...أو الرغبة..

.....أنا...فرحات هو المذنب...هو المسئول..

.....أنت الجسد...أيتها العبادة ماذا كنت ؟....

.....بغير بحرك كنت لست بسمكة.....

.....سمكة ببحرك وببقعتك...عبدا جعلتني...

.....وبخروجي ...لم أخرج...بخارج البحر رميتني...

.....والسمكة خارج البحر لن تعش.....

.....جسدي عن عبادته...المرض أوقفني.....

.....كيف تكن هذه هي نهايتي.....

.....الدقيقة عندي بسنة ...السنة هي وأنا لن ألحق بها..

.....غضب فرحات من غدرك يا عبادة ويا جسد....

.....قلبي مجروح والدواء ليس موجود.....

.....عودي يا أيامي عودي.....

.....لك يا ماض مشتاق....أرجع.....
.....يا...الراحلة عني إلي عودي.....
.....أنا من الضائعين أنصفني أرجعي.....
.....محتاجة لوجود...لأي كان محتاج أنا....
.....لك يا مدينتي أنا محتاج...خذي بيدي...
كل يوم كنت أنتظر قدوم الموت قبل الفجر بعد الفجر...
قبل الظهر بعد الظهر...قبل العصر بعد العصر.....
قبل المغرب بعد المغرب...قبل العشاء بعد العشاء....
مر شهر وثلاثة وعشرة...فوق السنة وجدت نفسي أصارع وبشدة أقاوم وأعاني...
الملل...الحزن...الذكريات...الخسارة...الكآبة...المرض...الـ بكاء...الصراخ...الجوع...الصيام..الجدران الأربعة.لم يعجلوا بنهايتي...بك ذكروني..بالرجوع إليك دفعوني..
نهايتي أريدها هنا...بأي مكان هنا عندك أريد..
أنا لم يبقى لي إصلاح...فالذين أصلح معهم لن يعودوا موجودين..
أنا من الموت لست خائف...خائف ما بعد الموت وما قبله...
أنا بهذا العالم...بهذه الدنيا...بهذه الحياة ...بهذا الكون أنا غريب...واحدا منك يا سطيف اجعليني..
لا أنكر ..من القبر أنا خائف من القلب...من الحفرة التي لجسدي الوسخ النجس جثة به سيكون...
لم يرحمني جسدي...ولا هذا الزمن...فكيف للقبر أن يرحمني والله أن يعفوا عني وأنا لم أرحم نفسي ولا غيري...
فات الأوان عن تمسكي بالصفحة البيضاء...فالوقت ومرضي لن يمنحني الكثير...
...عيشي الآن للماضي لن ينسيني حالي وذنبي ولن يمحوا أخطائي...

أنا يائس...الفرج لم ولن يطرق بابي ولن يعرض عليا المساعدة .ومنحي الطلب.. والنجاة...

هل سيسامحني أبي ؟...هل سترضى عني أمي ؟...هل ستقبل زوجتي أسفي ؟...هل سيعود أدم وعلي ؟...

هل ذنب شروق الذي برقبتي سينزل عني ؟...

هل هؤلاء سيقبلون بي بالآخرة, ويجيزون أن تكون حياتي الأخروية معهم...

أنا لم أسر بحذر...وبعبادة الجسد خاطرت..أنا الذي أحضرت الخطر لعالمي ولعالم من حولي...فلم نعش بأمان لا أنا ولا هم...

لو قلت الحقيقة من قبل أكيد كان قبل عذري...

...بإدخال الكذب بعدت عني الحقيقة والصدق...

أنا لست مصدق بأن فرحات يخرج منه كل هذا وبسببه ماتت أناس وأي أناس...أحبابه وأهل بيته...

الذي ساعد على وصولي وحصول كل هذا عدم استيقاظ الضمير الذي إن استيقظ كان قد أحسسني بالذنب فتراجعت ..

لم ينغزني الضمير...لم يستدعني لإدراك مخلفات تصرفاتي ...

بأعمالي الضمير...ضميري كان مرتاح...

وقفت بوجه الحاضر الحسن والمستقبل الجيد والجميل, الذي له كنت أعمل وأجتهد...

....تحديت مصيري...ولعبادة الجسد حددت مصيري وأرض عيشي ومستقبلي ..وحاضري..

عدم النسيان هو الذي صعب حالتي ولم يشفي ألامي وجروحي...

...أود الانتقام من نفسي المحاطة والمغطاة بهذا الجسدا الذين دمروني وأنهوني وبعالم الوحدة والحزن و...منه فردا وبه فردا جعلوني وكونوني..وضموني..

" إن الجنة خلقت لمجازات القلوب المؤمنة والأجساد الصالحة والنقية الطاهرة..وخلقت النار لإذابة جليد القلوب وحرق الجسد الذي صخر لعبادته هو وفقط...

فالنار...الآن حياتي نار...آخرتي نارها أشد ...

...أنا خائف يا مدينتي ...انجديني..

غمامتي...مصيبتي لم تزح.لأني لم أواجه المصيبة بإيمان وصبر وتحدي ...

صدق من قال أن شهوات الدنيا إناء لا يفرغ , وأبوابها لا تغلق ورؤية عين الجاهل لا تشبع...والخروج والتخلي عنها بالمستحيل والصعب..

...كنت ظالم...كان فرحات ظالما لنفسه وغيرك...

جعلت شهواتي تطغوا علي وتسيطر على قراراتي حتى في لحظة الوداع والفراق...

...لم أرفض شهوات الدنيا...استقبلتها وقبلت بطاقة دعوة منها كنت كل يوم أقل غدا موعد توبتي, لأني حسبت وظننت أن أبواب التوبة مفتوحة في كل الأوقات وتستقبل جميع الأجناس...كنت مخطأ في ذلك...

شهواتي لم أصدر حكم الإعدام عليها...حكم نهائي لا رجعة فيه..أقرر وأتراجع هكذا كنت...

مملكة حياتي سورها كان السوء...حارسها الظلم..مجلسها المتعة...قانونها شهوات الدنيا...مائها الخمر...أكلها السرقة...سلامها الحرب...خطاباتها اهانة وشتم وخادمها الشيطان...بوابتها الفساد...واسم المملكة عبادة الجسد...

عمري...عمر فرحات يشهد على سوء مسيرات ونفس سخرت لعبادة الجسد.

...صحيح التلذذ بلذة الدنيا تولد الألم والندم بالأخير والآخرة..

كنت أظن ..أعتقد أن الدنيا أطول وأدوم...أخطأت..

لأن عمر الآخرة هو الذي أطول وأدوم , وعمر الدنيا أصغر وأقصر...

هذه هي قصتي وحكايتي...قلت القليل وبعدت عن التفصيل.

سئلوا ..نفسي سئلت من له أن ينقل حكايتي وللعبرة توضع وتكون..فضلت البوح والنطق ..السرد عن أسراري وما أوصلتني إليه عبادتي ومعها عن ماذا ضحيت وكيف كنت لها..

من أجل أي غافل هو مثلي في أول عبادته للجسد أو في وسطها أو حتى قبل دخولها وفي التفكير يفكر ويود خوض هذه التجربة له أقول ابتعد أرجوك...رجاء تراجع وانسحب بسرعة فائقة لأن الأتي أصعب وخطير ولا يتحمله بشر..

بحثت عن من سيسخر القلم لقول قصتي بتفاصيلها وبسبق نتائجها ونهايتها...وصل البحث بي إلى من قلت لها ..لها سمحت وأذنت أن تداعب القلم والكلمات من وراء مصدر هي أحداث وواقع عشتها ..

...بإمكانك يا كاتبة ويا روائية...لك يا نورة أن تحرري كتاب عن فرحات سلامات وعن عبادته للجسد بإذن وسماح مني...

قولي وأكدي أن:

" ما من سعادة منحتها عبادة الجسد وبها أغمرت القلب وعاشتها الروح, وما السعادة إلا مسكن يفيق القلب فيه على جروح ".

و " ما من قلب نام على الجمر وما كان للجمر لينطفئ لينير القلب بنور القمر والقدر".